الجهود البلاغية فى الجزء الثاني
من عمدة القاري شرح صحيح البخاري
للبدر العيني (٧٦٢ هـ - ٨٥٥ هـ)
دراسة بلاغية تحليلية

الدكتور

حسن محمد الشريف

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنين بالديدامون شرقية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فللسنة النبوية المطهرة مكانتها السامية ومنزلتها العالية فى قلوب ونفوس المسلمين ؛ وذلك انطلاقا من كونها تلي كتاب الله – تعالى – في المكانة والتشريع، ولا غنى عنها لمعرفة دين الله ومقاصده في كتابه الكريم ؛

ولذلك فقد اهتم بدراستها أسلافنا جيلا بعد جيل، وقد برز اهتمامهم بها جليا في تحصيلها، وروايتها وتبليغها و دراسة أسانيدها ومتونها وفقهها وبلاغتها ، وكان من أبرز من شرفهم الله– تعالى– بخدمة السنة النبوية المطهرة الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري– رحمه الله – حيث ألف كتابه (الجامع الصحيح) وهو أصح كتاب بعد القرآن الكريم عند جمهور العلماء، واسمه : الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه وسمِّي بالجامع ؛ لأنه يجمع بين أحاديث الأحكام والعقائد والآداب والرقائق والتاريخ والسير والمناقب، ولما كان صحيح البخاري أصح الكتب المصنفة في علم السنة على الإطلاق فقد تسابق الأئمة العلماء على شرحه والعناية به، واشتغل الناس بدراسته وحفظه،

ومن بين الشروح الكثيرة (عمدة القاري) لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى المشهور بالعينيّ، حيث يعد من أشهر وأعظم مؤلفات العيني وأجل شروح صحيح البخاري، وهو سفر عظيم وهاج زاخر بالكثير من المسائل البلاغية المتناثرة فى ثناياه كالدر، تحتاج إلى من ينقب عنها ويجمعها ويحللها ويعلق عليها ويشرح مدى توافقها مع ما استقر عند علماء البلاغة من مصطلحات وقواعد ([1])

ولما كانت المادة اللغوية في الكتاب المذكور غنية وغزيرة، والمسائل البلاغية التي تناولها، والقضايا التي أثارها كثيرة يصعب على باحث واحد أن يحصرها، أو يتناولها بالدراسة اكتفيت بتناول الإسهامات البلاغية للبدر العيني فى الجزء الثاني من كتاب (عمدة القاري) وعنونت له (الجهود البلاغية فى الجزء الثاني من عمدة القاري شرح صحيح البخاري للبدر العيني (٧٦٢ هـ – ٨٥٥ هـ) دراسة بلاغية تحليلية حيث تناولت فى هذا الجزء ستة عشر حديثا حفلت بالكثير من المسائل البلاغية التي عرض لها

---

١ من بين المؤلفات التي تناولت إسهامات الإمام العيني في كتابه عمدة القاري: الجهود البلاغية في الجزء الأول من عمدة القاري د عبد الرزاق ريان الشريف بحث مستل من مجلة كلية اللغة العربية إيتاي البارود العدد الرابع والعشرون المجلد الثاني ٢٠١١م و الجانب البياني في شرح العيني على صحيح البخاري رسالة دكتوراه د ربيع محمد عبد المحسن ١٩٨٥م، جهود العيني البلاغية في كتابه عمدة القاري في شرح صحيح البخاري رسالة ماجستير منير محمد الدحام كلية التربية جامعة تكريت ٢٠٠٢م، الاستعارة وأسرارها البلاغية في كتاب عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري مكتبات جامعة قناة السويس" مسائل المعاني في كتاب عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري رسالة دكتوراه أبو الوفا شرقاوي حسن كلية اللغة العربية أسيوط.

العيني و تطرق إليها، وأعرضت عن الأحاديث التي بها إشارات بلاغية ضئيلة أو لم يتطرق إليها الإمام العيني،

وكان منهجي هو ذكرت الحديث كما أورده العيني، ثم اتبعه بشرح موجز لمعنى الحديث الشريف ، ثم أنقل ما أورده العيني من المسائل البلاغية مما يتعلق بعلم المعاني ثم ما يتعلق بعلم البيان ثم ما يتعلق بعلم البديع، ثم أقوم بالتعليق على ما ذكره العيني موضحا ومحللا وشارحا بل وناقدا فى كثير من الأحيان ، وقد صدرت هذا

البحث بمقدمة شرحت فيها منهجي وخطة البحث، وتمهيد اشتمل على ترجمة للإمام العيني ومنهجه فى كتابه عمدة القاري، ثم اتبعت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج،وثبت بالمصادر والمراجع، ثم فهرس للموضوعات.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاَ لوجهه الكريم، وأن ينفع به إنه سميع الدعاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د حسن محمد عبده الشريف

التمهيد [1]

البدر العيني :

اسمه ونسبه ومولده :

هو الإمام العلامة الكبير بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى المعروف بالبدر العيني ، امتاز بين أكابر العلماء بسعة العلم وجودة البحث، وحسن الترصيف حتى ملأ خزائن العلم فى العالم بمصنفاته الجليلة فى الحديث والفقه والتاريخ والعربية وغيرها.

نشأته وطلبه للعلم :

نشا العيني فى بيت علم وصلاح وتقوى حيث كان والده قاضيا وجده حسين بن يوسف مقرئا للقران فحفظ القران فى الصغر، وتلقى علومه الشرعية، وبرع في اللغة العربية وعلومها، وتضلع فيها حتى إنه كان ينوب عن أبيه في القضاء حال غيابه، حفظ الكتب الستة ومعاجم الطبراني والمسانيد، وأظهر حافظة فذة وارتفعت مكانته العلمية بقوة.

شيوخه:

من أجل شيوخ الإمام العيني : الحافظ زين الدين عبد الرحمن العراقي، والحافظ سراج الدين البلقينى، وتقي الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجدوى، والعلاء على بن محمد بن عبد الكريم الفوى، والحافظ نور الدين أبو الحسن على الهيثمى، وفاته :

---

١ ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للبدر العيني دار الفكر ١٩٧٩م ٢ ، ٣، ٤ والضوء اللامع لأهل القرن التاسع شمس الدين السخاوى دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ١٠ / ١٣١ ، ١٣٢

توفي رحمه الله في ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة خمس وخمسين ثمانمائة ، ودُفن من الغد بمدرسته التي أنشأها بعد أن عمر ثلاثة وتسعين عاما قضاها فى رحاب العلم .

مصنّفاته:

ترك العيني ذخيرة علمية هائلة أثرت المكتبة الإسلامية فى شتى العلوم فمن أجل مصنفات البدر العيني و أشهرها عمدة القاري في شرح البخاري ، شرح سنن أبى داود ، ومختصر وفيات الأعيان لابن خلكان، و مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.

منهج الإمام العيني في كتاب: "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"

عمدة القاري شرح صحيح البخاري" هو أشهر وأعظم مؤلفات العيني وأجل شروح صحيح البخاري ابتدأ تدوينه في أواخر سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وفرغ منه سنة سبع وأربعين وثمانمائة ، وهو كتاب ضخم تصل مجلداته إلى واحد وعشرين مجلدا،

قدّم الإمام العيني لشرحه بمقدّمة مختصرة، بيّن فيها مكانة السنّة، ومنزلة كتاب البخاري من بين الكتب، وشروحه، والسبب الذي دفعه لشرحه، وشيئاً من منهجه في هذا الشرح، حيث يبدأ بشرح ترجمة الباب فيعربه ثم يذكر وجه المناسبة بين الباب الذي قبله والذي يليه، ثم يشرح الترجمة ثم يورد الحديث ويشرع فى شرحه واضعا عناوين أمام كل موضوع .

رحم الله الشيخ رحمة واسعة، ونفعنا بعلمه، وأسكنه فسيح جناته إنه ولى ذلك والقادر عليه،،

الحديث الأول

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – "إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ؛ فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : هِيَ النَّخْلَةُ "(١)

هذا الحديث لونٌ من ألوان التعليم والتهذيب النبوي، فقد كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– يُعنى بتربية أصحابه تربية علمية أدبية : ففي الحديث السابق يطرح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على جلسائه سؤالا متخذا من وسائل التشويق، و لفت الانتباه والأنظار ما يجعل السامع يصغى متطلعا إلى معرفة ما يلقى إليه .

أما عن بلاغة هذا الحديث :

فيما يتعلق بعلم المعاني فقد ذكر العيني قوله : (إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً) مخرج على خلاف مقتضى الظاهر ؛ لأن المخاطبين فيه كانوا مستشرفين كاستشراف الطالب المتردد، فلذلك حسن تأكيده بأن وصوغه بالجملة الاسمية) (٢)

---

١ عمدة القاري : ٢/ ١٣

٢ عمدة القاري : ١٤/٢

فالعيني يرى أن قوله : (إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً) جاء مؤكدا على خلاف مقتضى الظاهر ؛ لأن صحابة رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ليس لديهم علم بمضمون الخبر، مما يتطلب إلقاء الخبر إليهم خاليا من التأكيد ، ولكن الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ألقى إليهم الخبر مؤكدا ؛ لأنهم كانوا مستشرفين لتوجيه رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – و إرشاده لهم استشراف الطالب المتردد ؛ فلذلك حسن تأكيده ، ومثله قوله : (وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ)

والمتأمل فيما ذكره العيني يجد أن سبب التأكيد لا يرجع إلى تنزيل غير السائل منزلة السائل – كما توهم العيني – إذ لم يتقدم هذا الخبر بما يلوح أو بما يستدعى استشراف المخاطب للخبر، اللهم إلا إذا أراد دعوة رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – للمخاطبين ورغبته فى نصحهم، ولعل سبب التأكيد هو أهمية الخبر فى نفس رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ورغبته فى إيثار اهتمام المخاطبين به، بل وتشويقهم لمعرفته لا سيما وأنه وارد فى مقام التعليم وإثارة الانتباه (وهذا ضرب من التوكيد لا ينظر فيها إلى حال المخاطب، وإنما ينظر فيها المتكلم إلى حال نفسه ومدى انفعاله بهذه الحقائق، وحرصه على إذاعتها، وتقريرها فى النفوس كما أحسها مقررة أكيدة فى نفسه)([1])

قوله : (حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟) صورة أمر ولكن المراد منه الطلب والسؤال، وقد علم أن الأمر إذا كان بالعلو والاستعلاء يكون حقيقة في

١ خصائص التراكيب : د محمد أبو موسى مكتبة وهبة الطبعة الثانية ٥٧

بابه ، وإذا كان لمساويه يكون التماسا ، وإذا كان لأعلى منه يكون طلبا وسؤالا فافهم) ([1])

والعيني بذلك يشير إلى ما هو مقرر لدى البلاغيين من أن الأمر إذا كان من الأدنى إلى الأعلى فهو ليس أمرا حقيقيا، وإنما هو دعاء بمعنى الطلب على سبيل التضرع والخضوع ،

ونضيف أن العلاقة بين كل من الدعاء والأمر الإطلاق والتقييد : حيث إن الأمر هو الطلب من الأعلى إلى الأدنى، ثم أطلق فأريد به مطلق الطلب، ثم قيد فأريد به الطلب من الأدنى للأعلى على سبيل المجاز المرسل ، وهذا ما لم يشر إليه العيني صراحة.

أما فيما يتعلق بعلم البيان فقد أشار العيني إلى التشبيه الوارد في الحديث مبينا المعنى اللغوي لكلمة (مثل) معرجا على أهمية ضرب الأمثال : فيقول : (قوله: (مَثَلُ الْمُسْلِمِ) بفتح الميم والثاء معا في رواية الأصيلي وكريمة، وفي رواية أبي ذر مِثْل بكسر الميم وسكون الثاء) ثم استطرد فقال : (لضرب المثل شأن في إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق ؛ فإن الأمثال تري المخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد ، ولا يضرب مثل إلا قول فيه غرابة، فإن قلت ما المورد وما المضرب قلت : المورد الصورة التي ورد فيها ذلك القول، والمضرب هي الصورة التي شبهت بها، وأما

---

١ عمدة القاري : ١٥/٢

وجه الشبه فقد اختلفوا فيه فقال بعضهم : هو كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجودها على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منها منافع كثيرة من خشبها وورقها وأغصانها) ([1])

والمتأمل فيما ذكره العيني يجد أنه لم يزد عما هو مقرر لدى البلاغيين ناقلا كلام الزمخشرى عند تفسيره للآية السابعة عشرة من سورة البقرة : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ) ([2])حيث علق الزمخشرى على الآية بقوله : (لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان، ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد)([3])

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

الحديث الثاني

---

١ عمدة القاري : ١٤/٢

٢ البقرة ١٧

٣ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله الزمخشرى عادل عبد الموجود ، وعلى محمد عوض الطبعة الأولى ١٩٩٨م ١ / ١٩٠

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ أَبَا مُرَّةَ مَوْلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ) ([1])

ترغيبا في التعلم والالتزام بآداب مجالسة العالم والتحلق إليه، و في إيجاز بديع يحكى لنا هذا الحديث النبوي الشريف صورة من صور اختلاف الناس في الالتزام بتلك الآداب ممثلة في حال هؤلاء الثلاثة الذين انتهوا إلى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهو جالس في حلقة من حلقات العلم ، فجلس أحدهم ، واستحى الآخر أن يزاحم الناس فجلس من ورائهم، وأما الثالث فلم يجد مكاناً فانصرف، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه.

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فقد ذكر العيني قوله : (فَآوَاهُ اللَّهُ)من باب المشاكلة والمقابلة ([2])كما في قوله- تعالى-

---

١ عمدة القاري ٢/ ٣١

٢ المشَاكَلة : ذكْرُ الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا.فالأول: كقول عمرو بن كلْثُوم : ألاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا * فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا والثانى كقوله = = تعالى- : (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) البقرة: ١٣٨ هذا وقد

(وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ)(١) فسمى مجازاته باسم فعله بطريق المجاز، وذلك لأن الإيواء هو الإنزال عندك، وهو لا يتصور في حق الله – تعالى – فيكون مجازا عن لازمه، وهو إرادة إيصال الخير ونحوه، فيكون من ذكر الملزوم وإرادة اللازم ، ويقال معناه : فآواه الله إلى جنته)(٢)

قوله : (فاستحيى اللَّهُ منه أي جازاه بمثل فعله بأن رحمه ولم يعاقبه، وهذا أيضا من باب المشاكلة ، وذلك لأن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يذم به ، وهذا محال على الله – تعالى– فيكون مجازا عن ترك العقاب للاستحياء، فيكون هذا أيضا من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم) (٣)

قوله : (فاعرض الله عنه) أي جازاه بأن سخط عليه، وهذا أيضا من باب المشاكلة ، وذلك لأن الإعراض هو الالتفات إلى جهة أخرى، وذلك لا يليق في حق الله – تعالى – فيكون مجازا عن السخط والغضب المجاز عن إرادة الانتقام ، والقاعدة في مثل هذه الإطلاقات التي لا يمكن حملها على ظواهرها أن يراد به غاياتها ولوازمها، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي اللزوم والقرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة هو العقل إذا لا يتصور العقل صدور هذه الأشياء من الله – تعالى–)(٤)

ذكر بعضهم أن اللفظ المستعمل في المشاكلة واسطة بين الحقيقة والمجاز لأنه لم يوضع لما استعمل فيه فليس حقيقة ولا علاقة معتبرة فليس مجازا : والذي يظهر: أنها مجاز والعلاقة المصاحبة. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، سعيد المندوب، دار الفكر – لبنان الطبعة: الأولى،١٩٩٦م، ٢ /١١٢

١ آل عمران ٥٤

٢ عمدة القاري ٢ / ٣٣

٣ عمدة القاري ٢ / ٣٤

٤ عمدة القاري ٢ / ٣٤

والمتأمل فيما ذكره العيني يجد أنه قد أصاب التحليل البلاغي، ولم يتجاوز ما هو مقرر لدى علماء البلاغة عن المشاكلة، واعتبار اللفظ المستعمل فيها من قبيل المجاز المرسل (١) لعلاقة اللزوم والقرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة هو العقل إذا لا يتصور العقل صدور هذه الأشياء من الله – تعالى –

إلا أنه لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى فائدة العدول عن الحقيقة إليه، وهذا ما نص عليه الكرماني بقوله : (فان قلت ما الفائدة فى العدول عن الحقيقة إليه ؟ قلت فوائد كثيرة : كبيان الشيء بطريق عقلي، وزيادة توضيح، وكتحسين اللفظ (٢)

وهذا ما أحدثته المشاكلة فى المواضع الثلاثة فى الحديث الشريف فقد أوحت بان الجزاء للثلاثة كان من جنس عملهم فزادت المعنى توضيحا بطريق عقلي إذ دعت المخاطب إلى التفكير فى اللفظ المعروض عليه، والمعنى المراد منه ، فإذا علمه بعد ذلك تأكد لديه وثبت عنده ، كما أن المشاكلة تخدع المتلقي فيتوهم من النظرة الأولى أن المعنى الثاني هو عين الأول، ولكنه بعد إدامة النظر وإعمال الفكر يعلم أنه غيره وأن اللفظين وإن كانا على شاكلة واحدة إلا أن معنى كل منهما يختلف عن الآخر، وهذا أدعى إلى استقرار المعاني، ورسوخها فى الذهن (٣)

---

١ تجدر الإشارة إلى أن المشاكلة عدها قوم من مسائل علم البيان فهي مجاز مرسل، وعدها آخرون من مسائل علم المعاني من حيث مخالفتها لمقتضى الظاهر، وعدها آخرون من مسائل علم البديع من حيث إنها توجب تغير اللفظ. ينظر فن البديع عبد القادر حسين دار الشروق طبعة أولى ٦٢

٢ صحيح البخاري بشرح الكرماني إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٩٣٧م ٢ / ٢٦

٣ دراسات منهجية فى علم البديع د الشحات أبو ستيت الطبعة الأولى ١٩٩٤م ١٤٩

قوله (ويحتمل أن يكون الكلام من باب التشبيه أي يفعل الله – تعالى – فى هؤلاء النفر كما يفعل المؤوى والمستحيي والمعرض،وقال الزمخشرى في قوله – تعالى– : (إِنَّ اللَّـهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)(١)فإن قلت كيف جاز وصف القديم بالاستحياء قلت هو جار على سبيل التمثيل ومثل تركه يترك من يترك شيئا حياء منه) (٢) والعيني في ذلك لم يزد عما ذكره الكرماني مستدلا برأي الزمخشرى فى ذلك (٣)

قوله : (فإن قلت : هذه الألفاظ الثلاثة إخبار أو دعاء قلت يحتمل المعنيين في لفظة الإيواء والإعراض ولكن ما وقع في رواية أنس : (وأما الآخر فاستغنى فاستغنى الله عنه) يؤيد معنى الإخبار.

والعيني بذلك يشير إلى أن الألفاظ الثلاثة : (آوَاهُ اللَّـهُ ، اسْتَحْيَا اللَّـهُ مِنْـهُ،أَعْرَضَ اللَّـهُ عَنْـهُ) تحتمل الإخبار أو الدعاء وان كان يؤيد معنى الإخبار مستدلا برواية أنس : (وأما الآخر فاستغنى فاستغنى الله عنه).

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

---

١ البقرة : ٢٦

٢ عمدة القاري ٢ / ٣٤

٣ صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢ / ٢٦

الحديث الثالث(١)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو التَّيَّاحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا (٢)

هذا الحديث النبوي الشريف من جوامع الكلم ؛ لاشتماله على خيري الدنيا والآخرة : ففيه إرشاد إلى التيسير دون التعسير ، وإلى التبشير دون التنفير.

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فيشير العيني إلى أن المقام الذي يشمل هذا الحديث النبوي الشريف : مقام وعظ ونصح وإرشاد، فناسبه الإسهاب وكثرة الألفاظ لا الاختصار ، ولذا عطف النهى عن التعسير على الأمر بالتيسير (للتصريح بما لزم ضمنا للتأكيد، ويقال لو اقتصر على قوله : (يَسِّرُوا) وهو نكرة لصدق ذلك على من يسر مرة وعسر في

---

١ عمدة القاري ٢/ ٤٥

٢ يسروا أمر من يسر وهو نقيض العسر، ولا تعسرا من التعسير وهو التشديد والتعصيب، وبشروا من البشارة وهي الإخبار بالخير وهي نقيض النذارة وهي الإخبار بالشر ، ولا تنفروا من نفر بالتشديد تنفيرا يقال : نَفَرَتِ الدَّابَّةُ تَنْفِرُ وتَنْفُرُ نُفوراً ونِفاراً فهي نافِرٌ ونَفورٌ : جَزِعَتْ وتَباعَدَتْ و الظَّبْيُ نَفْراً ونَفَراناً محركةً : شَرَدَ ينظر القاموس المحيط الفيروزابادى مؤسسة الرسالة بيروت نفر .

معظم الحالات ، فإذا قال : (وَلَا تُعَسِّرُوا) انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع الوجوه، وكذلك الجواب عن قوله: (وَلَا تُنَفِّرُوا) لا يقال كان ينبغي أن يقتصر على قوله : (وَلَا تُعَسِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا) لعموم النكرة في سياق النفي ؛ لأنه لا يلزم من عدم التعسير ثبوت التيسير، ولا من عدم التنفير ثبوت التيسير، فجمع بين هذه الألفاظ لثبوت هذه المعاني ؛ لأن هذا المحل يقتضي الإسهاب وكثرة الألفاظ لا الاختصار لشبهه بالوعظ، والمعنى وبشروا الناس أو المؤمنين بفضل الله – تعالى– وثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته، وكذا المعنى في قوله : ولا تنفروا يعني بذكر التخويف وأنواع الوعيد) ([1])

والمتأمل فيما ذكره العيني يجد أنه يتفق مع ما قرره علماء البلاغة من أن مقامات الكلام متفاوتة، وعلى المتكلم مراعاة مقتضى الحال ، وأن مقام الوعظ والنصح والإرشاد يقتضى الإطناب والتطويل ؛ولذا عطف النهى عن التعسير على الأمر بالتيسير (للتصريح بما لزم ضمنا للتأكيد)([2])، إلا أن تحليله يفتقد الإشارة إلى المصطلح البلاغي لهذا اللون من ألوان الإطناب، والذي يعرف لدى البلاغيين بالطرد والعكس: هو أن يُؤْتَى بكلامَيْنِ يُقَرِّرُ كُلُّ مِنْها بمنطُوقه مفهوم الثاني، وفائدته تأكيد منطوق كلٍّ منهما لمفهوم الآخر كقول الله – عزّ وجلّ – :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا

١ عمدة القاري ٢/ ٤٧
٢ عمدة القاري ٢/ ٤٦

أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }(١)

فجملة: {لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ} تفيدُ بمنطوقها نفي المعصية عنهم، وتفيد بمفهومها إثبات الطاعة لهم، و جملة: {وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} تُفيدُ بمنطوقها إثبات الطاعة لهم، وَتفيد بمفهومها نفْيَ المعصية عنهم.

قوله : {وهذا الحديث من جوامع الكلم لاشتماله على خيري الدنيا والآخرة ؛ لأن الدنيا دار الأعمال، والآخرة دار الجزاء، فأمر رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيما يتعلق بالدنيا بالتسهيل، وفيما يتعلق بالآخرة بالوعد بالخير والإخبار بالسرور تحقيقا لكونه رحمة للعالمين في الدارين}(٢)

والعيني بذلك يشير إلى أن هذا الحديث من جوامع كلم المصطفى – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقد تضمن المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلةٍ من غيرِ حذفٍ، وهو ما يعرف {بإيجاز القِصَرِ} «و يسمَّى إيجازَ البلاغةِ»

أما فيما يتعلق بعلم البديع فيقول العيني : {اعلم أن بين : (يَسِّرُوا) و بين (بَشِّرُوا) جناس خطي ، و الجناس بين اللفظين تشابههما فى اللفظ ، وهذا من الجناس التام المتشابه، وهذا باب من أنواع البديع الذي يزيد فى كلام البليغ حسنا وطلاوة } (٣)

---

١ التحريم ٦٦

٢ عمدة القاري ٢/ ٤٧

٣ عمدة القاري ٢/ ٤٧

فالعيني يرى أن (يَسِّرُوا و بَشِّرُوا) بينهما جناس خطي و أنه من الجناس التام المتشابه و في ذلك لبس ومغالطة إذ المتشابه من الجناس هو ما كان احد طرفيه مفردا والآخر مركبا من كلمتين وهما متفقتان فى الكتابة، وذلك كقول أبي الفتح الْبُسْتِي:

إِذا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَة فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَة

"ذا هبة" الأول: أي: صاحب هِبَةٍ. والثانية اسم فاعل من الذّهاب.

أما الجناسُ فى الحديث الشريف فهو من (المصحَّف) ويسمى "جناس الخطّ" وهو أن يتشابه اللفظان في الكتابة مع اختلافٍ في نقَط الحروف، كقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام لقومه:

{وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}. ولعل العيني أراد بقوله (جناس خطي) "جناس الخطّ"إلا انه لما عَرَّفَ الجناس وألحقه بالجناس التام المتشابه خاف ما استقر عليه علماء البلاغة ،

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

الحديث الرابع

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : {مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ } (١)

في إشارة واضحة إلى أهمية التفقه في أمور الدين، وأنه لا يعطاه إلا من أراد الله به خيرا و أنه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لم يفضل أحدا من أمته على أحد في قسمة ما أوحى الله إليه ، بل سوى في البلاغ وعدل في القسمة، وإنما التفاوت في إفهامهم من الله – تعالى– لأنه هو المعطي يعطي الناس على قدر ما تعلقت به إرادته ، وذلك فضل منه يؤتيه من يشاء ثم أخبر – صلى الله عليه وسلم – أن أمر أمته لا يزال مستقيماً إلى آخر الدهر، وأنها لا تزال متمسكة بدينها لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

أما عن بلاغة هذا الحديث فالحديث مليء بالمسائل البلاغية منها ما أشار إليها العيني، ومنها ما لم يشر إليه :

فقد أشار إلى بلاغة تنكير (خيراً) فى قوله – صلى الله عليه وسلم – (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا) مبينا أن تنكيره (لإرادة التعميم لأن النكرة في سياق الشرط كالنكرة في سياق النفي ، فالمعنى " من يرد الله به جميع الخيرات

---

١ عمدة القاري ٢/ ٤٨

" ويجوز أن يكون التنوين للتعظيم والمقام يقتضي ذلك كما في قول الشاعر (له حاجب عن كل أمر يشينه أي صاحب عظيم ومانع قوي) ([1])
وهذا تحليل جيد لا غبار عليه .

كما تطرق إلى القصر في قوله – صلى الله عليه وسلم – : (وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي) مبينا نوعه باعتبار حال المخاطب و اعتقاده : فان اعتقد أنه معط لا قاسم فيكون من باب قصر القلب ، وإن اعتقد أنه قاسم ومعط أيضا فيكون من قصر الإفراد : يقول العيني (وفيه إنما التي تفيد الحصر والمعنى ما أنا إلا قاسم فإن قلت كيف يصح هذا وله صفات أخرى مثل كونه رسولا ومبشرا ونذيرا قلت الحصر بالنسبة إلى اعتقاد السامع وهذا ورد في مقام كان السامع معتقدا كونه معطيا وإن اعتقد أنه قاسم فلا ينفي إلا ما اعتقده السامع لا كل صفة من الصفات وحينئذ إن اعتقد أنه معط لا قاسم فيكون من باب قصر القلب أي ما أنا إلا قاسم أي لا معط وإن اعتقد أنه قاسم ومعط أيضا فيكون من قصر الإفراد أي لا شركة في الوصفين أي بل أنا قاسم فقط) ([2])

ثم ألمح إلى بلاغة تقديم لفظ الجلالة على الفعل فى قوله – صلى الله عليه وسلم – (وَاللَّهُ يُعْطِي)

وانه قدم لإفادة التقوية فقط كما يرى السكاكى فيكون الفعل قد اسند لفاعله مرتين كما هو معلوم أو قدم لإفادة التقوية أو التخصيص كما يرى الزمخشرى فإن قلت إذا كانت هذه الجملة حالية أعني قوله : (والله

---

١ عمدة القاري ٢ / ٥١
٢ عمدة القاري ٢ / ٥١

يعطي)فما يكون معنى الحصر حينئذ قلت الحصر بإنما دائما في الجزء الأخير فيكون معناه ما أنا بقاسم إلا في حال إعطاء الله لا في حال غيره، ثم يختتم حديثه عن بلاغة هذا الحديث بالإشارة إلى حذف مفعول يعطى وأنه حذف لإرادة التعميم من خلال تنزيل الفعل المتعدى منزلة اللازم إعلاما بأن المقصود منه بيان إيجاد هذه الحقيقة أي حقيقة الإعطاء لا بيان المفعول أي المعطي) ([1])

هذا مجمل ما ذكره العيني من بلاغة هذا الحديث وهى إشارات بلاغية تتفق مع ما تقرر لدى علماء البلاغة، وليس للعيني فضل فيها سوى مجرد النقل إذ هي منقولة بالنص من شرح البخاري للكرمانى([2])

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

---

١ عمدة القاري ٢ /٥٢

٢ شرح البخاري للكرمانى ٢ / ٣٧

الحديث الخامس([1])

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَلَى غَيْرِ مَا حَدَّثَنَاهُ الزُّهْرِيُّ قَالَ سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا "([2])

ترغيبا في طلب العلم، والتصدق بالمال في أوجه الخير، يأتي هذا الحديث النبوي الشريف ليعلى من قيمة التنافس في هذين المجالين، وأنه لا ينبغي لأحد أن يغبط أحدًا على نعمة ، ويتمنى مثلها إلا أحد هذين ؛ وذلك لما فيهما من النفع العام والإحسان إلى الآخرين ، فهذا ينفعهم بعلمه وهذا ينفعهم بماله، و هذان الصنفان

هم أنفع الناس لعباد الله، ولا يقوم أمر الناس ولا يعمر العالم إلا بهما.

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فيشير العيني إلى القصر في قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :(لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ) مبينا صحة الحصر في هذين الأمرين مع كون الحسد قد يكون في غيرهما

---

١ عمدة القاري ٢/ ٥٦

٢ الحسد تمني الرجل أن يحول الله إليه نعمة الآخر أو فضيلته ويسلبهما عنه وهو مذموم والغبط أن يرى النعمة فيتمناها لنفسه من غير أن تزول عن صاحبها وهو محمود ، هلك الشيء يهلك بالكسر هلاكا وهلوكا مات والحَكْمَةُ عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم لسان العرب ابن منظور دار صادر – بيروت الطبعة الأولى حكم

بأن المراد لا حسد جائز في شيء من الأشياء إلا في اثنتين ، أو لا رخصة في الحسد في شيء إلا في اثنتين لافتا الانتباه إلى أن المراد من الحسد الغبطة، وذلك من قبيل إطلاق اسم المسبب على السبب ، كما أورد قول الخطابي في معنى الحسد، وانه كناية عن شدة الحرص والرغبة ؛ لأنهما سببه والداعي إليه ولهذا سماه البخاري اغتباطا.

(قوله لا حسد إلا في اثنتين أي لا حسد في شيء إلا في اثنتين أي في خصلتين، لا يقال قد يكون الحسد في غيرهما فكيف يصح الحصر لأنا نقول المراد لا حسد جائز في شيء من الأشياء إلا في اثنتين أو المعنى لا رخصة في الحسد في شيء إلا في اثنتين فإن قلت ما في هذين الاثنين غبطة وهو غير الحسد فكيف يقال لا حسد قلت أطلق الحسد وأراد الغبطة من قبيل إطلاق اسم المسبب على السبب وقال الخطابي معنى الحسد ههنا شدة الحرص والرغبة كنى بالحسد عنهما لأنهما سببه والداعي إليه ولهذا سماه البخاري اغتباطا ([1])

كما أشار إلى تنكير (المال) وتعريف(الحكمة) فأما عن التنكير فلإرادة التقليل ليدخل فيه أي قدر من المال أهلكه صاحبه في الحق تحت هذا الحكم،وأما عن تعريف (الحكمة) بلام العهد فلإرادة الشريعة أو القرآن الكريم (قوله مالا إنما نكره وعرف الحكمة لأن المراد من الحكمة معرفة الأشياء التي جاء الشرع بها يعني الشريعة فأراد التعريف بلام العهد، أو

١ عمدة القاري ٢ / ٥٧

المراد منه القرآن كما ذكرنا، فاللام للعهد أيضا بخلاف المال ؛ فلهذا دخل صاحبه بأي قدر من المال أهلكه في الحق تحت هذا الحكم (١)

كما أشار إلى المبالغة في قوله : (فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ) حيث اشتملت هذه العبارة على مبالغتين : إحداهما التسليط فإنه يدل على الغلبة وقهر النفس المجبولة على الشح البالغ ، والأخرى لفظ (على هلكته) فإنه يدل على أنه لا يبقي من المال شيئا (٢)

ثم ألمح إلى ما يعرف لدى البلاغيين بالاحتراس (٣) وان لم يذكره صراحة بقوله(ولما أوهم اللفظان (فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ) التبذير وهو صرف المال فيما لا ينبغي ذكر قوله (في الحق) دفعا لذلك الوهم (٤)

كما أشار إلى المبالغة في قوله : (وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا) حيث قال :(وكذا القرينة الأخرى اشتملت على مبالغتين إحداهما الحكمة فإنها تدل على علم دقيق محكم، والأخرى القضاء بين

---

١ عمدة القاري ٢ / ٥٨

٢ عمدة القاري ٢ / ٥٨

٣ الاحتراس ويسمى التكميل أيضا وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه وهو ضربان ضرب يتوسط الكلام كقول ابْنِ المعتزّ " يَصِفُ فَرَساً :

صبَبْنَا عَلَيْهَا – ظَالِمِينَ – سِيَاطَنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

وضرب يقع في آخر الكلام كقوله تعالى { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} المائدة: ٥٤ فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم فلما قيل أعزة على الكافرين علم أنها منهم تواضع لهم ينظرا الإيضاح في علوم ١٩٢

٤ عمدة القاري ٢ / ٥٨

الناس وتعليمهم، فإنها من خلافة النبوة ثم إن لفظ الحكمة إشارة إلى الكمال العلمي ويفضي إلى الكمال العملي وبكليهما إلى التكميل).

هذا مجمل ما ذكره العيني من بلاغة هذا الحديث ،

والمتأمل فيما ذكره العيني يجد أنه يتفق مع ما قرره علماء البلاغة بيد أنه يتأرجح بين جعل الحسد في الحديث الشريف من قبيل المجاز المرسل لعلاقة المسببية حيث أطلق المسبب وأراد السبب، أو من قبيل الكناية عن شدة الحرص والرغبة ، ولعل الأصوب أن يكون إطلاق الحسد على الغبطة من باب الاستعارة حيث شبهت الغبطة بالحسد بجامع الحرص وتمنى النعمة في كل، ثم استعير الحسد للغبطة على سبيل الاستعارة الأصلية التصريحية، وهذه الاستعارة تشير إلى المبالغة في صدق الرغبة وشدة الحرص.

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

الحديث السادس([1])

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ ؛ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ،فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ،فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ .([2])

تضمن هذا الحديث النبوي الشريف بيانا لمعظم أحوال الناس وأقسامهم بالنسبة إلى ما بعث الله به رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الهدى والعلم، وذلك في صورة تشبيهية بالغة الروعة أبرزت أصنافا ثلاثة من الناس : طيب انتفع بالعلم والهدى و نفع غيره ، فهذا هو العالم العامل المعلم، فهو مثل الأرض الطيبة النقية التي قبلت الماء،فأنبتت الكلأ والعشب، وجامع للعلم غير منتفع به، فهو مثل الأجادب من الأرض يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، وغافل لا يسمع علما ولا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله

---

١ عمدة القاري ٢/ ٧٦

٢ نَقِيَّة:من النقاء طَيِّبَة. الْكَلَأ: بِالْهَمْزَةِ بِلَا مَدّ، يَقَعُ عَلَى الْيَابِس وَالرَّطْب، والعشب الرطب من النبات و الْأَجَادِب: هِيَ الْأَرْض الصلبة الَّتِي لا تُنْبِتُ كَلَأً، الْقِيعَان : الْأَرْض الْمُسْتَوِيَة، وَقِيلَ : الْمَلْسَاء، وَقِيلَ : الَّتِي لَا نَبَات فِيهَا ينظر عمدة القاري ٢ / ٧٧

لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة. هذا موقف الأرض من الغيث ومثله موقف الخلق من العلم الرباني والحديث تشبيه تمثيلي شبهت فيه الصورة الذهنية الحاصلة من بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - بوحي الله وانقسام الناس حول ما جاء به ما بين مؤمن به عامل بكل ما فيه حسب طاقته، وعالم بشرعه، ومؤمن مقصر عالم قليل العمل، وقسم كافر معرض عن الحق لا يعلم ولا يعمل، شبهت هذه الصورة بالصورة الحسية الحاصلة من نزول الغيث على الأرض وانقسام الأرض إلى أقسام ثلاثة : قسم ارتوى بالماء فأنبت ما يحتاج الناس، وقسم آخر امسك الماء فانتفع به ولم ينبت الكلأ ولا الشجر، وقسم ثالث أضاع الماء فلم ينبت ولم يمسك، ووجه الشبه بين الصورتين هو التفاوت في الانتفاع .

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فيشير العيني إلى العطف في قوله :(الْهُدَى وَالْعِلْمِ) وأنه من عطف المدلول على الدليل ؛ لأن الهدى هو الدلالة والعلم هو المدلول ، وجهة الجمع بينهما هو النظر إلى أن الهدى بالنسبة إلى الغير أي التكميل والعلم بالنسبة إلى الشخص أي الكمال، ويقال الهدى الطريقة والعلم هو العمل)([1])
كما أشار إلى العطف في قوله : (الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ) وأنه من عطف الْخَاصّ على الْعَامّ ؛ لأن العشب أعم من الكلأ، والتخصيص بالذكر لفائدة الاهتمام به لشرفه ونحوه)([2])

١ عمدة القاري ٢/ ٧٩
٢ عمدة القاري ٢/ ٧٩

كما أشار إلى حذف المفاعيل من قوله : (فشربوا وسقوا وزرعوا)وذلك لكونها معلومة ، ولأنها فضلة في الكلام، والتقدير فشربوا من الماء،وسقوا دوابهم، وزرعوا ما يصلح للزرع)([1])

والمتأمل فيما ذكره العيني من إشارات بلاغية يجد أنها أمور واضحة جلية، سواء فى العطف أو فى حذف المفاعيل.

وأخيرا عرج إلى ما في الحديث من ضرب الأمثال حيث ذكر قول الخطابي (هذا مثل ضرب لمن قبل الهدى وعلم، ثم علم غيره فنفعه الله ونفع به ،ومن لم يقبل الهدى فلم ينفع بالعلم ولم ينتفع به)([2])

ولم يذكر العيني شيئا عن أثر التمثيل فى تبيان المعنى فى الحديث الشريف وهذا ما نوضحه فمعلوم أن ضرب الأمثال كما ذكر الإمام السيوطي :(يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد ([3]) وهذا ما أحدثه التمثيل فى الحديث إذ قرب المراد للعقل وصوره بصورة محسوسة جلية فكانت ألصق شيء بالبال ، لأن سامعه لا شك سيقارن بين المشبه والمشبه به، فيزداد تأثرًا وانفعالا بما سمع، ثم يندفع إلى التفكير فيما يسمع مدققًا محللا إذ مس أوتار قلبه مسا حيا، وإذ بلغ الأديب بتصويره مبلغ التأثير القوي فقد أدى رسالته البيانية على أكمل ما يراد، إنك تبحث عن نظير لهذه الصورة النبوية في كلام البشر فلا تجد ([4])

---

١ عمدة القاري ٢/ ٧٩

٢ عمدة القاري ٢/ ٧٩

٣ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٣٤٣

٤ البيان النبوي محمد رجب البيومي، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م ٢٣٣

قوله (وفيه التفصيل بعد الإجمال فقوله(أصاب أرضا) مجمل وقوله (فكان منها نقية)إلى آخره تفصيل فلذلك ذكره بالفاء)([1])

هذه النكتة البلاغية أوردها الإمام فى ختام إشاراته عما فى الحديث من علم البيان ومعلوم أن ذلك نوع من أنواع الإطناب تطلبه المقام حيث الوعظ والإرشاد والتوجيه والتعليم فيظهر المعنى الواحد في صورتين مختلفتين إحداهما مبهمة والأخرى موضَّحة، فقد ذكرت (الأرض) مجملة ثم فصل هذا الإجمال بقوله (فكان منها نقية إلى آخره) فتمكن المعنى في نَفْسِ الْمُتَلَقِّي تمكيناً زائداً، لوقوعه بعد استشراف النفس إليه بالإِبْهام ؛ فتكمل لذّة العلم به فالشيء إذا علم ناقصاً تشوّقت النفس إلى العلم به كاملاً، وحصل لديها ظمأ لمعرفته، فإذا استكملت النفس معرفته كانت لذّتها أشدّ من حصول العلم به دفعة واحدة.([2])

أما عن بلاغة هذا الحديث فيما يتعلق بعلم البيان :

فقد ذكر العيني قوله :(فيه تشبيه ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه وتشبيه السامعين له بالأرض المختلفة فالأول تشبيه المعقول بالمحسوس والثاني تشبيه المحسوس بالمحسوس وعلى قول من يقول بتثليث القسمة يكون ثلاث تشبيهات على ما لا يخفى ويحتمل أن يكون تشبيها واحدا من باب التمثيل أي تشبيه صفة العلم الواصل إلى أنواع الناس من جهة اعتبار النفع وعدمه بصفة المطر المصيب إلى أنواع الأرض من تلك الجهة قوله فذلك مثل من فقه تشبيه آخر ذكر كالنتيجة للأول ولبيان المقصود منه والتشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في وصف من أوصاف أحدهما في نفسه كالشجاعة في الأسد والنور في الشمس ولا بد فيه من المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه أما المشبه والمشبه به فظاهران وكذا أداة التشبيه وهي الكاف وأما وجه الشبه فهو الجهة الجامعة بين العلم

---

١ عمدة القاري ٢/ ٨٠

٢ ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٢ / ٦٧

والغيث فإن الغيث يحيي البلد الميت والعلم يحيي القلب الميت فإن قلت لم اختير الغيث من بين سائر أسماء المطر قلت ليؤذن باضطرار الخلق إليه حينئذ) ([1])

والمتأمل فيما ذكره العيني يجد أنه يشير إلى ما تضمنه الحديث من تشبيه ما جاء به النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الدين بالغيث، وتشبيه السامعين له بالأرض المختلفة ذاكرا نوع كل منهما من حيث حسية الطرفين أو عقليتهما مشيرا إلى إمكانية النظر إلى الصورة التشبيهية المركبة، واعتباره من باب التمثيل وهذا تحليل بلاغي دقيق ينبئ عن ثقافة بلاغية وإلمام بالقواعد وحسن تطبيق لها .

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

١ عمدة القاري ٢/ ٨٠

الحديث السابع([1])

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لأرى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ" قَالُوا فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ "الْعِلْمَ" ([2])

هذا الحديث النبوي الشريف دليلٌ على كمالِ فضلِ الفاروقِ عمرَ، وعظيمِ قدره ومنزلته عند ربه، وقربهِ من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و إشارةٌ واضحةٌ إلى فضل العلم وشرفه ومكانته.

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فقد ذكر العيني ثلاث نقاط :

أولها : حذف المفعول من قوله فشربت مقدرا إياه باللبن وذلك للعلم به([3]) وما ذكره العيني لا يخرج عما هو مقرر لدى البلاغيين فقد ذكروا أن الأصل في المَفْعُولِ به أنْ يُذْكَرَ، ولا يحذف إلا لِغَرَضٍ بلاغي، والأغراض

---

١ عمدة القاري ٢/ ٨٥

٢ القدح بفتحتين واحد الأقداح إناء للشرب فيها، الري بكسر الراء وتشديد الياء مصدر رَوِي يَرْوَى رياً. أظفاري جمع ظفر و الظُّفْرُ والظُّفُرُ معروف وجمعه أَظْفارٌ وأُظْفورٌ وأَظافيرُ يكون للإنسان وغيره وأَما قراءة من قرأَ كل ذي ظِفْر بالكسر فشاذ غير مأْنوسٍ به إذ لا يُعْرف ظِفْر بالكسر وقالوا الظُّفْر لما لا يَصِيد والمِخْلَبُ لما يَصِيد لسان العرب ظفر وأَوَّلَ الكلامَ وتَأَوَّله دَبَّره وقدَّره وأَوَّله وتَأَوَّله فَسَّره لسان العرب أول

٣عمدة القاري ٢/ ٨٥

كثيرة وقد استطرد البلاغيون في ذكر هذه الإغراض تاركين الباب مفتوحا لاستنباط الأغراض التي يمكن أن يدل عليها السياق ويشير إليها ، ومن هذه الأغراض العلم به .

والمتأمل في حذف المفعول في الحديث الشريف يجد أنه يتعدى مجرد العلم به فمع ما يحققه الحذف من الإيجاز والاختصار وتصفية العبارة مما يمكن الاستغناء عنه ففي الحذف لفت لانتباه المتلقي إلى الحدث ذاته لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله،وأنه قد حدث شرب لا سيما وهو شرب من نوع خاص شرب حتى رأى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الري يخرج في أظفاره فكان في حذف المفعول إشارة إلى الاهتمام بالفعل ذاته لا سيما والمفعول معلوم ٠

ثانيها : استعمال المضارع موضع الماضي وهو قوله (يخرج) وكان حقه أن يقال : (خرج) ولكنه أراد استحضار صورة الرؤية للسامعين قصدا إلى أن يبصرهم تلك الحالة وقوعا وحدوثا([1])

وما ذكره العيني في هذه المسالة لا يخرج عما هو مقرر لدى البلاغيين فقد ذكروا أن من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر أن يعبر عن المعنى الماضي بلفظ المضارع إحضارا للصورة العجيبة وإشارة لتجدده شيئا فشيئا ([2]) وكأن المخاطب يراها وينظرها وهى تحدث فيستحضرها الذهن عندما يعبر عنها بالمضارع ، وليس كذلك الفعل

١ عمدة القاري ٢/ ٨٧

٢ مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص دار السرور بيروت لبنان ١ / ٤٨٥

الماضي فمع أن تخيل السامع يقع في الفعلين معاً ولكنه في أحدهما – وهو المستقبل – أوكد وأشد تخيلاً ؛ لأنه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه)([1]) ويتمثلها صورة واقعة مشاهدة وهذا الأسلوب فيه من المبالغة ما فيه فيثبت المعنى ويستقر في ذهن المتلقي.

ثالثها تأكيد الخبر بان و اللام و اسمية الجملة وذلك فى قوله :(إِنِّي لأرى الرِّيَّ)متسائلا لم كل هذه المؤكدات ولم يكن المخاطبون مترددين ولا منكرين ثم يجيب : (قوله أرى الري يخرج في أظفاري أورثهم حيرة في خروج اللبن من الأظفار ؛ فأزال تلك الحيرة بهذه التأكيدات كما في قوله –تعالى– (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)([2]) لأن (مَا أُبَرِّئُ) أي ما أزكي أورث المخاطب حيرة في أنه كيف لا ينزه نفسه عن السوء مع كونها مطمئنة زكية ، فأزال تلك الحيرة بقوله: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) في جميع الأشخاص إلا من عصمه الله) ([3])

والمتأمل فيما ذكره العيني يجد أنه يُرجع تأكيد الخبر إلى تنزيل غير المنكر منزلة المنكر مستشهدا بالآية الكريمة، والآية كما هو معلوم صدرها يلوح بنوع الخبر، ويثير في النفس تساؤلا يستدعى تأكيد عجزها وهو ما لم يتحقق في الحديث إذ ليس فيه ما يلوح بنوع الخبر ويثير في النفس

---

١ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ابن الأثير المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٥تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ٢/ ١٤

٢ يوسف ٥٣

٣ عمدة القاري ٢/ ٨٧

تساؤلا يستدعى تأكيد الخبر، وإنما لما كان الخبر بالغا حد الغرابة والإعجاب واستشرف النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أهمية وضرورة تلقى الصحابة له بشيء من القبول والارتياح نزل المتلقي منزلة المنكر فالقي إليه الخبر مؤكدا.

أما فيما يتعلق بعلم البيان فقد أشار العيني إلى الاستعارة الأصلية في قوله: (إِنِّي لأرى الرِّيَّ) لأن الري لا يرى ولكنه شبه بالجسم وأوقع عليه الفعل ثم أضيف إليه ما هو من خواص الجسم وهو كونه مرئيا.([1])

وهذا التحليل منقول بنصه من الكرماني([2]) وهو تحليل بلاغي دقيق ينبئ عن ذوق بلاغي رفيع، وان لم يحدد مسمى الاستعارة، ولم يشر إلى الاستعارة التخيلية : فكما هو معلوم أن قوله: (إِنِّي لأرى الرِّيَّ) استعارة أصلية مكنية : حيث شبه الري بجسم مرئي بجامع الإدراك والرؤية في كل، ثم حذف المشبه به، وأتى بشيء من لوازمه وهو الرؤية، ولا يخفى أن إسناد الرؤية للري استعارة تخيلية تبعث الحياة في الموات، وتجعل الصورة مناسبة لغرض المتكلم من الوصول بالمتلقي إلى الدرجة التي يشعر هو بها ، فقد وصل الري برسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى الدرجة التي أصبح الري فيها مشاهدا مرئيا وهذا فيه من المبالغة ما يناسب المقام والغرض المسوق له الكلام.

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

---

١ عمدة القاري ٢/ ٨٧

٢ صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢ /٦٢

الحديث الثامن ([1])

حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ سَالِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : (يُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْهَرْجُ فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا كَأَنَّه يُرِيدُ الْقَتْلَ)([2])

فى هذا الحديث النبوي الشريف تحذير من الفتن و الشرور و الأحداث المستقبلية التي ستقع حتى قيام الساعة : من رفع العلم، وظهور الجهل وكثرة الهرج.

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فقد ذكر العيني عدة أمور بلاغية، وان لم يصرح بها صراحة، وإنما جاء معظمها فى ثنايا حديثه عن معاني كلمات الحديث :

فقد ذكر العيني أن قوله: (وظهور الجهل من لوازم قبض العلم وذكره لزيادة الإيضاح والتأكيد) ([3])

والعيني بهذا يشير إلى ما يعرف لدى البلاغيين بالطرد والعكس: هو أن يُؤْتَى بكلامَيْنِ يُقَرِّرُ كُلُّ مِنْها بمنطُوقه مفهوم الثاني، وهو نوع من أنواع

---

١ عمدة القاري ٢/ ٩١

٢ الهرج بفتح الهاء وسكون الراء وفي آخره جيم : الفتنة والاختلاط: وقد هرج الناس يهرجون بالكسر هرجا. الصحاح للجوهري هرج (يقبض العلم) يذهب ويفقد بموت العلماء. (الفتن) جمع فتنة وهي الإثم والضلال والكفر والفضيحة والعذاب وهي أيضا الاختبار والمراد هنا المعاني الأولى. (الهرج) الفتنة واختلاط الأمور وكثرة الشر ومن ذلك القتل.

٣ عمدة القاري ٢/ ٩٢

الإطناب، فائدته تأكيد منطوق كلٍّ منهما لمفهوم الآخر ؛ فان قبض العلم ينتج عنه ظهور الجهل ويستدعيه إلا أن ذكر ظهور الجهل بعد الإخبار بقبض العلم فيه إيضاح لقبض العلم، وإبراز لما ينتج عنه من ظهور الجهل، وهذا فيه تأكيد وإيضاح. وعند تفسيره للهرج ذكر له معان كثيرة إلا أنه نقل رأيا للكرمانى أن :(إرادة القتل من لفظ الهرج إنما هو على طريق التجوز، إذ هو لازم معنى الهرج اللهم إلا أن يثبت ورود الهرج بمعنى القتل لغة)([1]) وهو بذلك يتبنى هذا الرأي وهو أن الهرج إذا كان من معانيه القتل فهو مستعمل فى حقيقة معناه، وإذا أريد به القتل فهو مستعمل على سبيل المجاز المرسل : حيث أطلق الملزوم وهو الهرج، وأريد لازمه وهو القتل، وهذا المجاز لا غبار عليه بل هو يخدم المعنى بالمبالغة الحاصلة فى الفعل : حيث تعلق بالهرج وما يحمل من معاني القتال والاختلاط.

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

---

١ عمدة القاري ٢/ ٩٢

الحديث التاسع (١)

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ فَاطِمَةَ عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ : أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ مَا شَأْنُ النَّاسِ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ قُلْتُ : آيَةٌ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ،فَحَمِدَ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ –النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :(مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ يُقَالُ : مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُوقِنُ لَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ : هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا فَيُقَالُ : نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ.(٢)

---

١ عمدة القاري ٢/ ٩٣

٢ تجلاني أي علاني الغشي من غشى عليه غشية وغشيا وغشيانا فهو مغشي عليه تفتنون أي تمتحنون ، المسيح الدجال إنما سمي مسيحا لأنه يمسح الأرض أو لأنه ممسوح العين ، وأما المسيح بالفتح فهو عيسى بن مريم عليه السلام ، والدجال من الدجل وهو الكذب والتمويه وخلط الحق بالباطل المصباح المنير الفيومي يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية غ ش ي

هذا الحديث النبوي الشريف يعلمنا ما كان يفعله النبي – صلى الله عليه وسلم – عند كسوف الشمس : فقد كان يضرع إلى الله – تعالى– بالصلاة والدعاء والذّكر والاستغفار والتوبة والرجوع إليه والصدقة، وتذكير الناس بالقبر وفتنته، وسؤال الملكين ومحنته، مبينا لهم اختلاف أحوال الناس تبعا لاختلاف درجات إيمانهم، وما يترتب على ذلك من ثواب وعقاب.

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فقد ذكر العيني الكثير منها فى ثنايا حديثه عن إعراب الحديث الشريف ومنها :

قوله : (آية بهمزة الاستفهام وحذفها خبر مبتدأ محذوف أي هي آية أي علامة لعذاب الناس)([1])

فهو يشير بذلك إلى حذف المسند إليه (المبتدأ) والتقدير هي آية إلا أنه لم يشر إلى السر البلاغي وراء هذا الحذف ولعله ضيق المقام مع لهفة السيدة أسماء للوقوف على حقيقة ما يحدث، وهذا ما دعاها إلى طي الكلام اعتمادا على ذكاء المخاطب.

أما قوله :(مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ) فقد علق عليه العيني بقوله : (ما للنفي وكلمة من زائدة لتأكيد النفي) ([2])ولم يشر إلى أن الخبر : مؤكدٌ بأكثرَ من مؤكد وذلك استجابة للمقام : حيث يتطلع المستمعون إلى تفسير ما يحدث ؛ فلتهدأ نفوسهم ألقى إليهم الخبر مؤكدا بأكثر من مؤكد حتى يلقى الخبر رضا وقبولا.

---

١ عمدة القاري ٢/ ٩٥

٢ عمدة القاري ٢/٩٥

وقوله : (إلا رأيته) استثناء مفرغ، وقالت النحاة كل استثناء مفرغ متصل ومعناه أن ما قبلها مفرغ لما بعدها إذ الاستثناء من كلام غير تام فيلغى فيه(إلا) من حيث العمل لا من حيث المعنى نحو: ما جاءني إلا زيد، وما رأيت إلا زيدا، أو ما مررت إلا بزيد، فالفعل الواقع ههنا قبل (إلا) مفرغ لما بعدها و(إلا) ههنا بمنزلة سائر الحروف التي تغير المعنى دون الألفاظ نحو : هل وغيره ولا يجوز هذا إلا في المنفي فافهم)([1])

يفهم من كلام العيني السابق أن قوله : (مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ) قصر طريقه النفي والاستثناء حيث قصر كل الأشياء التي لم يرها النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من قبل على رؤيتها فى مقامه هذا قصر موصوف على صفة تطلبه مقام الوعظ والإرشاد وتهدئة الناس وتطمينهم، إلا أنه اهتم بالجانب النحوي فجاء جل حديثه عن الاستثناء المفرغ وإعراب المستثنى ولم يتطرق إلى الحديث عن هذا الاستثناء من الناحية البلاغية وهذا ما قمنا بتوضيحه.

قوله : (حتى الجنة والنار يجوز فيهما الرفع والنصب والجر أما الرفع فعلى أن تكون حتى ابتدائية و الجنة تكون مرفوعا على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره (حتى الجنة مرئية) و النار عطف عليه كما في قوله(أكلت السمكة حتى رأسها) برفع الرأس أي رأسها مأكول وهو أحد الأوجه الثلاثة فيه)([2])

---

١ عمدة القاري ٢/٩٥

٢ عمدة القاري ٢/ ٩٥

العيني يشير إلى أنه إذا كانت حتى ابتدائية فما بعدها مرفوع بالابتداء والخبر محذوف والتقدير : حتى الجنة مرئية والنار كذلك ففيه حذف للمسند :(مرئية) وكذلك النار) وهذا الحذف للإيجاز والاختصار وتصفية العبارة.

قوله : (يقال) بيان لقوله (تفتنون) ولهذا ترك العاطف بين الكلامين [١]فهو يشير إلى سر الفصل بين الجملتين وهو كمال الاتصال حيث جاءت الثانية بيانا وتوضيحا للأولى فنزلت منها منزلة نفسها فلم تعطف عليها لما بينهما من ربط معنوي.

قوله : (إن كنت)كلمة (إن)هذه هي المخففة من الثقيلة أي إن الشأن كنت وهي مكسورة ودخلت اللام في قوله :(لموقنا)لتفرق بين أن هذه وبين إن النافية هذا قول البصريين وقال الكوفيون(إن)بمعنى ما و اللام بمعنى إلا مثل قوله – تعالى – (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) [٢]أي ما كل نفس إلا عليها حافظ ويكون التقدير ههنا ما كنت إلا موقنا [٣]

فهو يشير إلى أن قوله :(إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ) على رأى الكوفيين أن (إن) بمعنى (ما) و(اللام) بمعنى (إلا) فهو قصر طريقه النفي والاستثناء قصر موصوف على صفة حيث قصر المخاطب على صفة اليقين، وذلك تلبية لمقام الترقب واللهفة، وردا على صدق الثبات واليقين . (ما شأن الناس

---

١ عمدة القاري ٢/ ٩٦

٢ الطارق ٤

٣ عمدة القاري ٢/ ٩٦

)أى قائمين مضطربين فرعين ([1])يشير إلى الإيجاز الذي حمله هذا الاستفهام.قوله : (وأثنى عليه من باب عطف العام على الخاص لأن الثناء أعم من الحمد والشكر والمدح أيضا ثناء) ([2]) فهو إطناب تطلبه مقام التضرع والإنابة إلى الله تعالى (لإفادة العموم مع العناية بشان الخاص وهذا العطف شائع ومقبول إن قرن بمزية بلاغية يقتضيها المقام ([3])

وبهذا يتضح أن الإمام العيني قد خالف البلاغيين القدامى فى عدم ذكر هذا النوع فى الإطناب حيث أنكر بعضهم وجوده فأخطأ والفائدة فيه واضحة وهو التعميم وأفرد الأول بالذكر اهتماما بشأنه ([4])

قوله : (ما علمك)الخطاب فيه للمقبور بدليل قوله (إنكم تفتنون في قبوركم) ولكنه عدل عن خطاب الجمع إلى خطاب المفرد لأن السؤال عن العلم يكون لكل واحد بانفراده واستقلاله قيل قد يتوهم أن فيه التفاتا لأنه انتقال من جمع الخطاب إلى مفرد الخطاب كما قال المرزوقي في شرح (الحماسة) في قوله(أحمى أباكن يا ليلى الأماديح)

إنه التفات وكما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) ([5]) قلت الجمهور من أهل المعاني على خلاف ذلك، ولا يسمى هذا التفاتا إلا

---

١ عمدة القاري ٩٦/٢

٢ عمدة القاري ٩٧/٢

٣ ينظر بلاغة الحديث النبوي عند ابن علان. رسالة دكتوراه للدكتور رفعت السوداني طبعة ١٩٨٦م ٤٩٦

٤ ينظر الإتقان في علوم القرآن ١٩٢/٢

٥ الطلاق ١

على قول من يقول إن الالتفات هو انتقال من صيغة إلى صيغة أخرى سواء كان من الضمائر بعضها إلى بعض أو من غيرها والتفسير المشهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر من الطرق الثلاثة وهي التكلم والخطاب والغيبة أما الشعر فإن فيه تخصيص الخطاب بعد التعميم لكون المقصود الأعظم هو خطاب ليلى وأما الآية فقد قال الزمخشرى خص النبي بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وأنه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدر عنهم رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم) (١)

فالعيني وإن كان معظم كلامه منقول عن الكرماني (٢) يشير إلى أنه قد يتوهم أن فى الكلام التفاتا لاختلاف الخطاب فى قوله : (فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ) من خطاب الجمع إلى خطاب المفرد فى قوله : (ما علمك) وأنه التفات كما فى قوله – تعالى –: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) (٣)مبينا أن هذا الرأي مخالف لمل عليه جمهور البلاغيين فى إشارة ضمنية إلى ضلوعه وتمكنه من هذا الفن.

أما عن بلاغة هذا الحديث فيما يتعلق بعلم البديع فقد ذكر العيني

---

١ عمدة القاري ٢/ ٩٧

٢ صحيح البخاري بشرح الكرماني ٦٩/٢

٣ الطلاق ١

قوله : (وأما المنافق أي غير المصدق بقلبه لنبوته وهو في مقابلة المؤمن قوله والمرتاب أي الشاك وهو في مقابلة الموقن) ([1])وهذا تحليل جيد فالطباق كما هو معلوم من المحسنات المعنوية التي تكسب المعنى إيضاحا وتقوية وتأكيدا عن طريق المقارنة بين الضدين فتصور احد الضدين فيه تصور للآخر.

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

١ عمدة القاري ٢/ ٩٧

الحديث العاشر([1])

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أبو عامِرٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ الْمَدِينِيُّ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ يَزِيدَ مَوْلَى الْمُنْبَعِثِ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ اللُّقَطَةِ فَقَالَ اعْرِفْ وِكَاءَهَا أَوْ قَالَ وِعَاءَهَا وَعِفَاصَهَا ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ قَالَ فَضَالَّةُ الْإِبِلِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ فَقَالَ وَمَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا قَالَ فَضَالَّةُ الْغَنَمِ قَالَ : لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ)([2])

في هذا الحديث النبوي الشريف بيان لأحكام اللقطة من الذهب والفضة والضالة من الإبل والغنم فبالنسبة للقطة فقد طالب الرسولُ الكريمُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– السائلَ أن يعرفَ وكاءَها الذي شُدت به ووعاءها الذي جُعلت فيه ؛ وذلك لتميزها والتحقق من أوصافها ممن يدعيها، كما أمره أن يعرفها عاما كاملا، وبعده يباح له الانتفاع بها، فان جاء صاحبها وتعرف عليها أداها إليه، وأما ضالة الإبل ونحوها مما يمتنع بنفسه، فنهاه عن

---

١ عمدة القاري ٢/ ١٠٧

٢ (اللقطة) بضم اللام وفتح القاف الشيء الملقوط، وهو اسم للمال الملتقط، قوله (اعرف) بكسر الهمزة من المعرفة لا من الإعراف قوله (وكاءها) بكسر الواو وبالمد هو الذي تشد به رأس الصرة والكيس ونحوهما ويقال هو الخيط الذي يشد به الوعاء:و (الوعاء) واحد الأوعية يقال أوعيت الزاد والمتاع إذا جعلته في الوعاء، (العفاص) الوعاء الذي يكون فيه النفقة إن كان جلدا أو خرقة أو غير ذلك (ترد) من الورود قوله (فذرها) أي دعها . ينظر عمدة القاري ٢ /١٠٨

التقاطها ؛ لأنها ليست بحاجة إلى الحفظ، فلها من طبيعتها حافظ، لأن فيها القوة على صيانة نفسها من صغار السباع، ولها من أخفافها ما تقطع به المفاوز، ومن عنقها ما تتناول به الشجر والماء، ومن جوفها ما تحمل به غذاءها،وأما ضالة الغنم ونحوها من صغار الحيوان، فأَمَرَه أن يأخذها حفظا لها من الهلاك وافتراس السباع.

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم البيان فقد ذكر العيني أن : (فيه التشبيه وهو في قوله (مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا) فإنه شبه الإبل بمن كان معه حذاء وسقاء في السفر)([1])

والمتأمل فيما ذكره العيني يجد أن قوله : (مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا)ليس تشبيهاً كما رأى، وإنما هو من قبيل الاستعارة المكنية : حيث شبهت الإبل بالمسافر، ثم حذف المشبه به، وأتى بشيء من لوازمه ومقومات سفره وهو السقاء والحذاء، وكما هو معلوم فإسناد السقاء والحذاء للإبل جاء على سبيل الاستعارة التخيلية ، ولعله أراد بالتشبيه هنا الاستعارة المكنية ، ولكنه عبر عن الاستعارة المكنية بأولى درجاتها وهو التشبيه، وان كنت أرى أن الأفضل أن يحمل قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَم – (مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا)على سبيل الاستعارة الأصلية التصريحية وذلك حيث شبه بطون الإبل بالسقاء بجامع حفظ الماء في كل، كما شبه أخفاف الإبل بالحذاء بجامع حماية القدم والمساعدة على السير في كل، ثم استعير السقاء لبطون الإبل، كما استعير الحذاء للأخفاف، وهذه الاستعارة

---

١ عمدة القاري ٢ / ١١٠

جعلت من بطون الإبل سقاء لحفظ الماء، ومن أخفافها أحذية تعين على السير وتحافظ على الأقدام، وفى ذلك مقومات بقائها.

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم البديع، فقد ذكر العيني أن في الحديث جناسا ناقصا (وهو في قوله : (اعْرِفْ و عَرِّفْ) والحرف المشدد في حكم المخفف في هذا الباب فافهم)([1])وقد أجاد العيني فيما ذكر فبين (اعْرِفْ و عَرِّفْ)جناس ناقص وهو أن يقع تجانس اللفظين في الحروف والحركات مع اختلاف في عدد الحروف والاختلاف هنا في أول الكلمة في همزة الوصل في اعرف،

هذا ولم يذكر العيني شيئا عن أثر الجناس في تثبيت المعنى وتأكيده حيث جاء مطبوعا غير متكلف قد تطلبه المقام وقاد إليه مع ما فيه من تشويق النفس وتنشيط الفكر للوقوف على المراد من اللفظين المتشابهين، وهذا ادعى إلى تثبيت المعنى وتأكيده، وهذا ما أشار إليه الإمام عبد القاهر في مقدمة كتابه أسرار البلاغة حيث ذكر (إنك لا تستحسن تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمى بعيداً،)([2])

إلا أن العيني أشار إشارة خاطفة إلى ما هو مقرر لدى البلاغيين من أن الحرف المشدد في حكم المخفف في هذا الباب وهو في ذلك ينقل ما قرره السكاكى حيث ذكر :

---

١ عمدة القاري ٢ /١١٠

٢ أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني محمود محمد شاكر دار المدني جدة ٧

أن (المشدد في هذا الباب يقام مقام المخفف نظرا على الصورة فاعلم)([1]) ومن هذا يتضح أن العيني ينقل ما هو مقرر لدى البلاغيين وليس له من فضل سوى تطبيق ما هو مقرر.

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

١ مفتاح العلوم السكاكى نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٣م ٤٢٩

الحديث الحادي عشر([1])

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدٌ هُوَ ابْنُ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ : حَمِدَ اللَّهَ،وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:(إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ،وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ ؛ فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا،وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ) فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ: مَا قَالَ عَمْرٌو؟ قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ إِنَّ مَكَّةَ لَا يُعِيذُ عَاصِيًا، وَلَا فَارًّا بِدَمٍ ، وَلَا فَارًّا بِخَرْبَةٍ ([2])

لما أراد عمرو بن سعيد بن العاص، المعروف بالأشدق، أن يجهز جيشاً إلى مكة المكرمة وهو – يومئذ – أمير ليزيد بن معاوية على المدينة المنورة لقتال عبد الله بن الزبير– رضي الله عنهما– جاءه أبو شريح، خويلد بن

---

١ عمدة القاري ٢/ ١٣٨

٢ (يبعث البعوث) أي يرسل الجيوش (يسفك) معنى السفك إراقة الدم (لا يعضد) من العضد وهو القطع و معنى لا يعضد لا يفسد ولا يقطع، والشجر ما له ساق (ترخص) من الرخصة وهو حكم ثبت لعذر مع قيام المحرم(لا تعيذ) أي لا تعصم العاصي من إقامة الحد عليه (ولا فارا) أي ملتجئا إلى الحرم بسبب خوفه من إقامة الحد عليه (بخربة) وهي السرقة ينظر عمدة القاري ٢/ ١٣٩

عمرو الخزاعي، لينصحه و يذكره بما سَمِعَتْهُ أُذُنَه، وَوَعَاهُ قَلْبِه، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَاه حين تكلم النبي – صلى الله عليه وسلم– صبيحة فتح مكة مؤكدا على حرمتها، وأن الله – تعالى – هو الذي تولى تحريمها ؛ فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، وأن الله – تعالى – أذن لنبيه – صلى الله عليه وسلم– بالقتال فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها كما كانت، فليبلغ الشاهد الغائب، ولكن عمرا كان عازما على قتال عبد الله بن الزبير– رضي الله عنهما– فأخبره كاذبا بأنه أعلم بذلك منه، و أن الحرم لَا يُعِيذُ عَاصِيًا، وَلَا فَارًّا بِدَمٍ، وَلَا فَارًّا بِخَرْبَةٍ (١)

(وملخص القصة أن معاوية – رضي الله عنه– لما ولى يزيد أنكر عبد الله بن الزبير وأصحابه أن يبايعوه ورحل عبد الله بن الزبير– رضي الله عنه – إلى مكة فاستخلف بعده مروان ثم عبد الملك فولى عبد الملك الحجاج المبير ظالم هذه الأمة فتولى قتل ابن الزبير – رضي الله عنه – وفعل ما فعل واحرق قرنا كبش إسماعيل – عليه الصلاة والسلام – وتهدمت حصة من البيت أيضا والعياذ بالله (٢)

أما أن بلاغة هذا الحديث فقد ذكر العيني معظمها عند إعرابه للحديث الشريف، فحاولنا جاهدين بفضل الله – تعالى – أن نستنبط هذه النقاط

---

١ تيسر العلام شرح عمدة الأحكام عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام دار الميمان السعودية الطبعة الأولى ١ / ٣٥٨

٢ فيض الباري على صحيح البخاري محمد أنور الكشميري دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١ / ٢٨٨

ونوضحها ، ونبين ما انطوت عليه من أسرارُ مُلْمِحِينَ إلى مصطلحها البلاغي، ففيما يتعلق بعلم المعاني فقد ذكر العيني : أن

قول أبي شريح : (ائذن لي أيها الأمير) حسن التلطف في الإنكار لا سيما مع الملوك فيما يخالف مقصودهم ؛ لأن التلطف بهم أدعى لقبولهم لا سيما من عرف منه بارتكاب هواه وأن الغلظة عليهم قد تكون سببا لإثارة فتنة ومعاندة)([1])

وهذا من حسن الابتداء وبراعة الاستهلال ([2])لا سيما عند مخاطبة الملوك والرؤساء، فمقتضى الحال يتطلب التلطف والتودد فى الطلب، وانتقاء الكلمات الموحية الرقيقة، والبعد عن أساليب المواجهة، وهذا ما قام به أبو شريح ، وعلق عليه العيني عند حديثه عن بيان استنباط الأحكام، وإن لم يسمه باسمه البلاغي.

قوله : (قوله سمعته أذناي إلى آخره إشارة منه إلى مبالغته في حفظه من جميع الوجوه ففي قوله : (سمعته أذناي) نفي أن يكون سمعه من غيره وقوله : (ووعاه قلبي) تحقيق لفهمه والتثبت في تعقل معناه وقوله : (وأبصرته عيناي) زيادة في تحقق السماع والفهم عنه بالقرب منه والرؤية وأن سماعه منه ليس اعتمادا على الصوت دون حجاب بل الرؤية

---

١ عمدة القاري ٢/ ١٤٣

٢ من البديعيين من يفرق بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال فلا يطلق براعة الاستهلال على مطلع القصيدة إلا إذا دل على الغرض منها بالإشارة لا بالتصريح العقد البديع فى فن البديع الجواد الخورى بولس عواد المطبعة العمومية بيروت ١٨٨١م ٧

والمشاهدة)([1]) فالعيني يعلق تعليقا عاما يفتقد الخصوصية، أما إذا أردنا الحديث عن بلاغة هذا الأسلوب فهو إطناب طريقه التتميم تطلبه مقام التثبت والتأكيد والمبالغة فى الحفظ والوعي للتهويل من هذا الأمر، وأن الأقدام على أمر كهذا فيه خطر عظيم، لكونه مشتملا على بيان حرمة مكة.

قوله : (حمد الله) جملة وقعت بيانا لقوله(تكلم) ([2])

والعيني يشير إلى علة الفصل بين قوله : (حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ) وقوله : (حَمِدَ اللَّهَ) أن قوله (حمد الله) جملة استئنافية مبينة فصلت عن سابقتها لما يعرف لدى البلاغيين بشبه كمال الاتصال : حيث جاء قوله :(تكلم)مثيراً لسؤال هو فماذا قال ؟ فكان قوله : (حمد الله) جوابا لهذا السؤال بمعونة القرائن ، وحينئذ فصل بينهما بترك العطف كما يفصل الجواب عن السؤال، وهذا ما ألمح إليه العيني.

قوله : (فلا يحل) الفاء فيه جواب شرط محذوف تقديره : إذا كان كذلك فلا يحل)([3]) ويفهم من كلامه أن قوله : (فلا يحل) إيجاز بحذف فعل الشرط لدلالة القرينة عليه.

قوله : (فإن أحد) إن للشرط و(أحد) مرفوع بفعل محذوف تقديره فإن ترخص أحد ويفسره قوله : (ترخص)إنما حذف لئلا يجتمع المفسِر

---

١ عمدة القاري ٢/ ١٤١

٢ عمدة القاري ٢/ ١٤٠

٣ عمدة القاري ٢/ ١٤٠

والمفسَر، وذلك كما في قوله- تعالى- : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ)([1]) تقديره وإن استجارك أحد من المشركين) ([2])

فالعيني وهو ينقل عن الكرماني([3]) يشير إلى حذف المسند حيث إن (أحد) فاعل لفعل محذوف يدل عليه المذكور، وقد حذف المسند إتباعا للاستعمال الوارد، فقد درجت أساليب اللغة على استعمالات حذف فيها المسند لوجود القرينة الدالة، ومنها كل اسم مرفوع وقع بعد ما يختص بالفعل والنكتة هنا التفسير ؛ لأنه عندما حذف الفعل الأول واضمر احتاج إلى تفسير، فجاء الثاني مفسرا له بعد أن كان مؤكدا له قبل الحذف إضافة إلى ما يحمل هذا الحذف من اختصار فى العبارة وإيجاز فيها،وبعد عن الترهل المذموم الذي تنأى عنه الأذواق السليمة وتأنفه الطباع السوية.

قوله : (وإنما قال : (فإن أحد ترخص لقتال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –)ولم يقال : (لقتالي) بيانا لاستظهار الترخص فإن الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – المبلغ للشرائع إذا فعل ذلك كان دليلا على جواز الترخص ، وإنما التفت ثانيا بقوله: (وإنما أذن لي)ولم يقل : (أذن له) بيانا لاختصاصه بذلك بالإضافة إلى ضميره كما في قول امرئ القيس :

وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود)

فان قلت مقتضى الظاهر أن يقال: (له لا لي) فهل فيه التفات قلت: (لا) لان السياق فى قوله : (لقتال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–) حكاية قول المترخص وسياق هذا هو تضمنه جواب الترخص، وقضية الالتفات تقتضى اتحاد السياق، ويجوز أن يكون التفاتا إذا قدر (فان ترخص لقتال) فوضع لفظ رسول الله موضعه ([4])

---

١ التوبة ٦

٢ عمدة القاري ٢/ ١٤١

٣ صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢ /١٠٤

٤ عمدة القاري ١٤٢/٢

ويفهم من تعليق العيني المنقول عن الكرماني[١] أنه يرى أن العدول من قوله : (فإن أحد ترخص لقتالي) إلى قوله (فإن أحد ترخص لقتال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –) ورد على سبيل الالتفات بدليل قوله: (وإنما التفت ثانيا بقوله : (وإنما أذن لي)

وهذا التحليل ليس دقيقا، وإنما العدول ورد على سبيل وضع المظهر موضع المضمر وليس من الالتفات فى شيء ؛ وذلك لأن الضمير هنا فيه بعض إبهام في دلالته والمقام يستدعى العناية بشان مدلوله وهو رسول الله– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فإن الرسول المبلغ للشرائع إذا فعل ذلك كان دليلا على جواز الترخص.

وقوله :(وإنما أذن لي) التفات، لأن نسق الكلام (وإنما أذن له) أي لرسوله، فالتفت من الغيبة إلى التكلم ؛ لان ضمير الغائب فيه إبهام ومشاع بخلاف التكلم فهو محدد الدلالة، ولذلك التفت لبيان اختصاصه بهذا الإذن وهذا التحليل لا غبار عليه.

قوله : (وقال الطيبي لما سمع عمرو ذلك رده بقوله أنا أعلم ويعني إن صح سماعك وحفظك لكن ما فهمت المعنى المراد من المقاتلة فإن ذلك الترخص كان بسبب الفتح عنوة وليس بسبب قتل من استحقه خارج الحرم والذي أنا بصدده من القبيل الثاني لا من الأول فكيف تنكر علي فهو من القول بالموجب يعني الجواب مطابق وليس مجاوبة من غير سؤاله قلت كونه جوابا على اعتقاد عمرو في ابن الزبير والله اعلم) (٢)

والمتأمل فيما أورده العيني من تعليق على ما قاله الطيبي يرى أنه يؤيد حمل جواب عمرو على (القول بالموجب)، وهذا تحليل بلاغي دقيق فقد حاد عمرو عن الجواب ؛ إذ كان يعتقد فى ابن الزبير أنه خارج والتجأ إلى الحرم ، و يرى أن الملتجئ إلي الحرم عليه الحد الذي وجب

١ صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢ / ١٠٤

٢ عمدة القاري ٢/ ١٤٢

عليه قبل أن يلجأ إليه ، ولا يمنع من إقامة الحد فيه ، ومن هنا فقد كان جوابه من القول بالموجب و هو أنْ يحملَ كلامُ الغيرِ على خلافِ مرادهِ (١)مع أن أبا شريح احتج بعموم الحديث وذهب إلى أن مثل ابن الزبير لا يجوز أن يستباح نفسه ولا ينصب الحرب عليها بقتال بعدما حرمها رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –(٢)

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

---

١ القول بالموجب ويقال له أسلوب الحكيم وللناس فيه عبارات مختلفة منهم من قال هو أن يخصص الصفة بعد أن كان ظاهرها العموم أو يقول بالصفة الموجبة للحكم ولكن يثبتها لغير من أثبتها المتكلم وقال ابن أبي الأصبع هو أن يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب إلى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم وذلك عين القول بالموجب لأن حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه خزانة الأدب إبن حجة الحموي دار ومكتبة الهلال بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٧تحقيق : عصام شعيتو ١ / ٢٥٨

٢ عمدة القاري ٢/ ١٤٢

الحديث الثاني عشر

حَدَّثَنَا صَدَقَةُ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ هِنْدٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَعَمْرٍو وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ هِنْدٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ الْفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنْ الْخَزَائِنِ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحُجَرِ فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ) (١)

يُعَدُ هذا الحديثُ النبويُ الشريفُ نموذجاً للإحساس بالمسؤولية تجاه الأهل والعشيرة ؛ وذلك بتربيتهم وحسن رعايتهم و توجيههم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتحذيرهم من الفتن، و ترغيبهم فى الإنابة إلى الله– تعالى – وصدق الرجوع إليه، والخوف منه وحده، والتوكل عليه، والتضرع إليه لا سيما في أوقات المحن والشدائد.

أما عن بلاغة هذا الحديث فقد ذكر العيني (قوله : (أُنْزِلَ)على صيغة المجهول، وفي رواية الكشميهني أَنْزَلَ الله، والإنزال في اللغة إما بمعنى الإيواء كما يقال : أنزل الجيش بالبلد، ونزل الأمير بالقصر، وإما بمعنى تحريك الشيء من علو إلى أسفل كقوله – تعالى – : (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)(٢) وهذان المعنيان لا يتحققان في أنزل الله ، فهو مستعمل في معنى مجازي بمعنى أعلم الله الملائكة بالأمر المقدر.....وكأن النبي – عليه الصلاة والسلام – أوحي إليه في يومه ذلك بما سيقع بعده من الفتن فعبر عنه بالإنزال (٣)

والمتأمل فيما ذكره العيني يجد أنه لم يزد عن الإشارة إلى أن قوله : (أُنْزِلَ) مستعمل في معنى مجازي، ولم يذكر نوع المجاز ، و لا أثره على

---

١ عمدة القاري ٢/ ١٧٢

٢ المؤمنون ١٨ الفرقان ٤٨ لقمان ١٠

٣ عمدة القاري ٢/١٧٤

المعنى المراد، وهذا ما نشرع فى تبيانه فقوله : (أنزل) مجاز مرسل علاقته اللزوم حيث أطلق اللازم وهو قوله : (أنزل) وأريد الملزوم وهو إعلام النبي– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بما سيقع بعده من الفتن، وفائدة هذا الإطلاق المجازيّ الإيجازُ في التعبير من جهة، وتجسيد المعنى المراد من جهة أخرى وتصويره بشيء ملموس يرى حال نزوله من علو تلبية لمقام الترهيب والتعجب.

(قوله كاسية على وزن فاعلة من كسا ولكن بمعنى مكسوة كما في قول الحطيئة واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي قال الفراء يعني المكسو كقولك ماء دافق وعيشة راضية)([1])

وهذا تحليل بلاغي دقيق فالعيني يشير إلى أن قوله : (فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا) مجاز عقلي علاقته الفاعلية حيث أسند ما بنيَ للمفعولِ إلى الفاعلِ، نحو قوله تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ([2])،أي ساتراً، فقد جعلَ الحجابَ مستوراً، مع أنه هو الساترُ. وكما قال الحطيئةُ يهجو الزبرقانَ بنَ بدرٍ :

دَعِ المَكارِمَ لا تَرحَل لبغْيَتِها... واقعُدْ فإنك أَنْتَ الطّاعِمُ الكاسِي

وهو يقصدُ المطعَم المكِسي.

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

---

١ عمدة القاري ٢/ ١٧٥

٢ الإسراء ٤٥

الحديث الثالث عشر([1])

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا ثُمَّ يَتْلُو{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى إِلَى قَوْلِهِ الرَّحِيمُ} إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنْ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِشِبَعِ بَطْنِهِ وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ ([2])

أبو هريرة راوية الإسلام الأعظم ، و محدث الأمة الأكبر، وحافظها الأول، كان رجلاً فقيراً معدماً، لازَم رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لخدمته وشبع بطنه، فسمع منه – صلّى الله عليه وسلّم – ما لم يسمع غيره، كان حريصا على العلم والتلقي، ورزق ذاكرة حافظة ، فروى عن رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أكثر من خمسة آلاف حديث، مدفوعا بخشية كتمان العلم، وراجيا فى الأجر والثواب من الله – تعالى – فجزاه الله – تعالى – خير الجزاء.

---

١ عمدة القاري ٢/ ١٨١

٢ الصَّفْق الضرب الذي يسمع له صوت وكذلك التَّصْفِيقُ، وصَفَقَ يَده بالبيعة والبيع وعلى يده صَفْقاً ضرب بيده على يده وذلك عند وجوب البيع، ويقال رَبِحَت صَفْقَتُك للشِّراء وصَفْقةٌ رابحةٌ وصَفْقةٌ خاسِرةٌ، وإنما قيل للبيعة صفقة لأَنهم كانوا إذا تبايَعوا تَصافَقُوا بالأَيدي ويقال إنه لَمُبارَكُ الصَّفْقةِ أَي لا يشتري شيئاً إلاَّ رَبِحَ فيه ، والصَّفْقةُ تكون للبائع والمشتري وفي حديث أَبي هريرة أَلْهاهُم الصَّفْقُ بالأَسواق أَي التبايُعُ لسان العرب صفق

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فقد ذكر العيني قوله: (أكثر أبو هريرة) أي من رواية الحديث وهو من باب حكاية كلام الناس أو وضع المظهر موضع المضمر إذ حق الظاهر أن يقول أكثرت (١)

وما ذكره العيني وهو منقول عن الكرماني(٢) متفق مع ما هو مقرر لدى البلاغيين، فقوله (أكثر أبو هريرة) خروج عن مقتضى الظاهر، والأصل أن يقول : (أكثرت) ، ولكنه عدل إلى الاسم الظاهر للإشعار بكمال العناية به من أجل اختصاصه بحكم غريبٍ وهو كثرة روايته للحديث تمهيدا لتبرئة ساحته. أو لعله من باب التجريد،

قوله: (إن إخواننا استئناف كالتعليل للإكثار كأن سائلا سأل لم كان أبو هريرة مكثرا دون غيره من الصحابة ؟ فأجاب بقوله (لأن إخواننا)كذا وكذا فلأجل ذلك ترك العاطف بين الجملتين (٣)

وهذا تحليل صائب ودقيق يكشف العلاقة بين قوله : (إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ) وقوله : (إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ) فقد فصلت الثانية عن الأولى لما بينهما من شبه كمال الاتصال .

قوله: (ثُمَّ يَتْلُو) ذكر بلفظ المضارع استحضارا لصورة التلاوة كأنه فيها (٤)

وهذا أمر شائع فى تعليقاته البلاغية على استخدام الفعل المضارع استحضارا لصورة الحدث فضلا عن نقله لهذا التعليق من الكرماني(٥)

قوله : (إِنَّ إِخْوَانَنَا) كان حق الظاهر أن يقول (إن إخوانه) ليرجع الضمير إلى أبي هريرة وأجيب بأنه عدل عنه لغرض الالتفات وهو فن من

---

١ عمدة القاري ٢ / ١٨٢

٢ صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٣٤/٢

٣ عمدة القاري ٢ / ١٨١

٤ عمدة القاري ٢ / ١٨٢

٥ صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٣٤/٢

محاسن الكلام و قوله وإن أبا هريرة فيه التفات أيضا لأن حق الظاهر أن يقول وإني (١) وهذا أيضا منقول عن الكرماني(٢) وهو تحليل بلاغي دقيق فالأول التفات من الغائب إلى التكلم والثاني التفات من التكلم إلى الغائب.

أما عن بلاغة هذا الحديث فيما يتعلق بعلم البيان فقد ذكر قوله(الصفقِ) بالرفع فاعل يشغل وهو بفتح الصاد كناية عن التبايع يقال : صفقت له بالبيع صفقا أي ضربت يدي على يده للعقد) (٣)

وهذا تحليل دقيق فالصفقِ كناية عن التبايع وفى الكناية تصوير للتبايع بصورة ملموسة تجعل المعنى قويا مؤثرا.

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

---

١ عمدة القاري ٢ / ١٨٢

٢ صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٣٤/٢

٣ عمدة القاري ٢ / ١٨١ صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٣٥/٢

الحديث الرابع عشر([1])

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ تَعْنِي وَجْهَهَا وَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ قَالَ نَعَمْ تَرِبَتْ يَمِينُكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا([2])

حرصا من المرأة المسلمة على التفقه في أمور دينها ، ورغبة في العلم والبحث عن المعرفة، جاءت أم سليم الأنصارية إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – لتسأله في أمر يشغل بالها، ولما كان سؤالها مما يتعلق بالفروج، وما يستحيا من ذكره عادة قدمت بين يدي سؤالها تمهيداً ؛ لتدخل في صميم الموضوع سائلة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن غسل المرأة من الجنابة ومتى يجب عليها ؟

---

١ عمدة القاري ٢/ ٢١١

٢ (تربت يمينك)بكسر الراء من ترب الرجل إذا افتقر أي لصق بالتراب وأترب إذا استغنى وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر بها كما يقولون قاتله الله وقيل معناه لله درك وقيل أراد بها المثل ليرى المأمور بذلك الجد وأنه إن خالفه فقد أساء وقال بعضهم هو دعاء على الحقيقة وليس بصحيح وكثيرا ما يرد للعرب ألفاظ ظاهرها الذم وإنما يريدون بها المدح كقولهم لا أب لك ولا أم لك وهوت أمه ولا أرض لك ونحو ذلك ينظر عمدة القاري ٢ / ٢١٢

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فقد ذكر العيني التفاتا في قوله : (فغطت أم سلمة) الظاهر أن هذا من كلام زينب فالحديث ملفق من رواية صحابيتين، ويحتمل أن يكون من أم سلمة على سبيل الالتفات كأنها جردت من نفسها شخصا فأسندت إليه التغطية إذ أصل الكلام فغطيتُ وجهي وقلت يا رسول الله) ([1])

والمتأمل في كلامه عن الالتفات يجد أنه كلام طيب يتفق مع ما هو مقرر لدى البلاغيين، إذا كان هذا كلام أم سلمة وليس من كلام زينب، ولكن ينقصه بيان لبلاغة هذا الالتفات، ولعل بلاغته تكمن في التأكيد على تغطية الوجه منسوبا إليها رغبة في نقل ما اشتملها من حياء جم، ولولا معرفة الحكم الشرعي والتفقه فى الدين ما سالت هذا السؤال،

كما ذكر أن قوله: (وتحتلم المرأة) عطف على مقدر يقتضيه السياق، أي أتقول ذلك، أو أترى المرأة الماء وتحتلم أو نحوه) ([2])

فهو يرى أن فى الكلام إيجازا بالحذف، وان كنتُ أرى أن في ذلك التقدير تعسفا لا يحتمله المقام ولا يقتضيه.

أما عن بلاغة هذا الحديث فيما يتعلق بعلم البيان فقد ذكر العيني معنى الحياء في قول السيدة أم سليم : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ) أي لا يمتنع من بيان الحق فكذا أنا لا أمتنع من سؤالي عما أنا محتاجة إليه مما تستحي النساء في العادة من السؤال عنه ؛ لأن نزول المني منهن يدل على شدة شهوتهن للرجال، وإنما فسرناه هكذا ؛ لأن الحياء تغير وانكسار

١ عمدة القاري ٢ / ٢١٢ صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٦٠/٢
٢ عمدة القاري ٢ / ٢١٢ صحيح البخاري بشرح الكرماني٢ / ١٦٠

يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به أو يذم، وهذا محال على الله – تعالى– فيكون هذا جاريا على سبيل (الاستعارة التبعية التمثيلية) كما في حديث سلمان قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (إن الله حي كريم يستحي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا) شبه ترك الله إجابة العبد ورد يديه إليه صفرا بترك الكريم ورده المحتاج حياء فقيل ترك الله الرد حياء كما قيل ترك الكريم رد المحتاج حياء، فأطلق الحياء ثمة كما أطلق الحياء ههنا فلذلك استعير ترك الله المستحيي لترك الحق ثم نفى عنه)([1])

ويفهم من كلام العيني أن الحياء المنسوب إلى الله– تعالى– جاء جاريا على سبيل الاستعارة التبعية التمثيلية كما في حديث سلمان، ولكن المتأمل فيما ذكره العيني يجد أنه قد جانبه الصوابَ في هذا التحليل فتكلف وحمل اللفظَ ما لم يحتمل ، ولعل الأصوب أن يقال : إن نسبة الحياء إلى الله – تعالى – بهذا المعنى محال، وإنما هو إطلاقٌ على سبيل المجاز المرسل من إطلاق السبب وإرادة المسبب ؛ إذ يترتب على الاستحياء ترك المعيب، أو من إطلاق الملزوم وهو الحياء، وإرادة لازمه وهو (الترك)،والمعنى لا يترك الحق فعبر بالحياء عن الترك ؛لان الترك من ثمرات الحياء ومن استحيا من فعل شيء تركه.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن مذهب أهل السنة عدم تأويل ما هو منسوب إلى الذات العلية، ولذا يعجب صاحب فيض الباري معلقا على قوله : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ) و قد تأول الناس فيه وإني لا أتأخر عن إسناد أمر أسنده الله –سبحانه وتعالى – بنفسه إلى نفسه، ولكن أَكِلُ علم كيفيته إلى الله – عز وجل– ولا أقول كما قال البيضاوي : إن الرحمة عبارة عن

---

١ عمدة القاري ٢ / ٢١٢

رقة القلب فإسنادها إليه –تعالى– مجاز ، ويا للعجب فان الرحمة إذا كان إسنادها إلى الله –تعالى –مجازا فالي من يكون حقيقة ؟[1]

كما أشار إلى المجاز فى قوله : – صلى الله عليه وسلم – (تَرِبَتْ يَمِينُكِ) إشارة ضمنية فى بيانه الإعراب حيث ذكر أن قوله : – صلى الله عليه وسلم – (تَرِبَتْ يَمِينُكِ) جملة خبرية في الأصل ولكنها دعاء في الاستعمال وقيل على حالها خبر لأنه لا يراد حقيقتها) [2]

ويفهم من كلامه هذا وان لم يصرح به أن قوله :(تَرِبَتْ يَمِينُكِ)مجاز ؛ حيث إنه جملة خبرية يراد بها الدعاء قصدا للتفاؤُلِ باستجابة اللهِ الدعاء، وتحقُّقِهِ في الواقع حتَّى يكون خبراً، وذلك على سبيل (المجاز المرسل المركب) لعلاقة الضدية أو اللزوم [3]

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

---

١ فيض الباري على صحيح البخاري ١ /٣١٨

٢ عمدة القاري ٢ / ٢١٢

٣ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب الطبعة السابعة عشر ٢٠٠٥م ١ / ٣٤٤

الحديث الخامس عشر([1])

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ خَالِدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ قَالَ رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ فَتَوَضَّأَ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ ([2])

هذا الحديث النبوي الشريف يحمل بشارة من النبي – صلى الله عليه وسلم – لأمته بأن الله – سبحانه وتعالى – قد خصهم بعلامة فضل وشرف : حيث ينادون يومَ القيامة ، فيأتون على رؤوس الخلائق ، تتلألأ وجوههم وأيديهم وأرجلهم بالنور، وذلك من آثار الوضوء.

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فقد ذكر العيني عدة أمور أشار إلى بعضها فى ثنايا إعرابه للحديث :

أولها: (ووقع في بعض النسخ توضأ بدون حرف العطف وإلى هذا ذهب الكرماني ولهذا قال توضأ استئناف كأن قائلا يقول ماذا فعل قال توضأ ثم قال ولهذا لم يذكر فيه واو العطف)([3])

---

١ عمدة القاري ٢/ ٢٤٦

٢ (رقيت)بكسر القاف أي صعدت (غرا) بضم الغين المعجمة وتشديد الراء وهو جمع أغر أي ذو غرة، و الغرة بياض في الجبهة، (محجلين) جمع محجل بتشديد الجيم المفتوحة من التحجيل و هو بياض يكون في قوائم الفرس ينظر عمدة القاري ٢/ ٢٤٧

٣ عمدة القاري ج٢/ ٢٤٧ صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٧٢/٢

ثانيها :قوله (قال استئناف ولهذا لم يذكر فيه حرف للعطف كأن قائلا قال : (ثم ماذا) قال فقال قال إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم)([1])

فهو يشير إلى سر الفصل فى الموطنين السابقين وهو الاستئناف البياني أو ما يعرف لدى البلاغيين بشبه كمال الاتصال، حيث اتحدت الجملتان فى الخبرية أو الإنشائية، وكانت الأولى مثيرة لسؤال تصلح الثانية أن تكون جوابا عنه بمعونة القرائن ، وحينئذ يفصل بينهما بترك العطف كما يفصل الجواب عن السؤال،

ثالثها: قوله: (يقول) بصورة المضارع لأجل الاستحضار لصورة الماضية أو لأجل الحكاية عنها وإلا فالأصل أن يقال قال بلفظ الماضي،

رابعها: حذف المفعول في قوله فليفعل للاختصار و الاحتراز عن التكرار والإشعار بأن أصل هذا الفعل مهتم به و التقدير فليفعل الغرة أو الإطالة،([2])

ثم ختم حديثه عن بلاغة هذا الحديث فيما يتعلق بعلم المعاني بما يعرف بالاكتفاء حيث اقتصر على ذكر الغرة ولم يذكر التحجيل ؛ وذلك للعلم به كما في قوله تعالى : (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) ([3])والمراد الحر والبرد ولم يذكر البرد للعلم به مستدلا على صحة رأيه بما رواه الإمام مسلم من طريق عمارة بن غزية حيث ذكر فيه قوله : (فليطل غرته وتحجيله) بذكر كليهما مصرحا بهما معا، وإنما اقتصر على ذكر الغرة وهي مؤنثة دون

---

١ عمدة القاري ٢/ ٢٤٨

٢ عمدة القاري ٢/ ٢٤٨

٣ النحل : ٨١

التحجيل وهو مذكر ؛ لأن محل الغرة أشرف أعضاء الوضوء ، وأول ما يقع عليه النظر من الإنسان (١)

وهذا التحليل البلاغي تحليل دقيق ينبئ عن ذوق بلاغي رفيع،

ثم أورد رأيا للشيخ تقي الدين القشيري مفاده : (أن الاقتصار على ذكر الغرة دون التحجيل، من باب التغليب بالذكر لأحد الشيئين على الآخر، وإن كانا بسبيل واحد ؛ للترغيب فيه، وقد استعمل الفقهاء ذلك فقالوا : يستحب تطويل الغرة ومرادهم الغرة ، والتحجيل) (٢)

ثم رد هو على الشيخ تقي الدين بما يكشف عن إلمامه بما هو مقرر لدى البلاغيين حيث ذكر : (أن هذا ليس بتغليب حقيقي ؛ إذ لم يؤت فيه إلا بأحد الاسمين، والتغليب اجتماع الاسمين أو الأسماء، ويغلب أحدهما على الآخر نحو : القمرين والعمرين، ونحوهما، ورد عليه بعض الشارحين بأن القاعدة في التغليب أن يغلب المذكر على المؤنث لا بالعكس، والأمر هنا بالعكس لتأنيث الغرة وتذكير التحجيل قلت : نقل عن ابن بابشاد أنه قال : تغليب المؤنث على المذكر وقع في موضعين أحدهما ضبعان للخفة والآخر في باب التاريخ وأن التاريخ عند العرب من الليل لا من النهار فغلبوا الليلة على النهار) (٣)مسترسلا في الرد على من زعم أنه من باب التغليب

---

١ عمدة القاري ٢/ ٢٤٨
٢ عمدة القاري ٢/ ٢٤٨
٣ عمدة القاري ٢/ ٢٤٨

أما عن بلاغة هذا الحديث فيما يتعلق بعلم البيان ففي الحديث كما نعلم استعارة في قوله : -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -(غُرًّا مُحَجَّلِينَ) حيث شبه النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة بغرة الفرس وتحجيله بجامع الإشراق والتلألؤ في كل، ثم استعير المشبه به للمشبه على سبيل (الاستعارة الأصلية) ففي الحديث استعارة وليس تشبيها بليغا كما ذكر العيني حيث قال : (فيه تشبيه بليغ حيث شبه النور الذي يكون على موضع الوضوء يوم القيامة بغرة الفرس وتحجيله) ([1])

ولعله كما ذكرنا سابقا أراد بالتشبيه البليغ هنا الاستعارة كما انه أجاز أن يكون قوله (غرا محجلين) من باب الكناية بأن يكون كنى بالغرة عن نور الوجه) ([2])

ثم أشار إلى القرينة المانعة وغير المانعة، والتي تفرق بين الكناية والاستعارة للاستدلال على جواز حمل الكلام على سبيل الكناية حيث قال : (وقد علم أن الأصول في هذا الباب ثلاثة التشبيه والمجاز والكناية : فالتشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في وصف من أوصاف، أحدهما في نفسه كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس واللفظ المراد به لازم ما وضع له أن قامت قرينة على عدم إرادته فمجاز كقوله : رأيت أسدا يرمى، وإن لم تقم قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو كناية

١ عمدة القاري ٢/ ٢٤٩ صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٧٢/٢
٢ عمدة القاري ج٢/ ٢٤٩ صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٧٢/٢

كقولك : زيد طويل النجاد، ومعنى المجاز كجزء معنى الكناية من حيث أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة، فلا يمتنع أن يراد من قولهم فلان طويل النجاد طول نجاده من غير ارتكاب تأول مع إرادة طول قامته ، بخلاف المجاز فإنه ينافي الحقيقة، فيمتنع أن يراد معنى الأسد من غير تأويل في نحو : رأيت أسدا في الحمام، فالحقيقة جائزة الإرادة مع الكناية غير جائزة الإرادة مع المجاز، فإن المجاز بهذا الاعتبار جزء من الكناية فافهم) ([1]) وهذه أمور معلومة ومستقرة لدى البلاغيين.

وبهذا ينتهي تعليقنا على ما أورده الإمام العيني من إشارات بلاغية تتعلق بهذا الحديث.

١ عمدة القاري ج٢/ ٢٤٩

الحديث السادس عشر

حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–(إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِل الْقِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ ، شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا) ([1])

لما كانت الكعبة المشرفة قبلة المسلمين فى صلواتهم ، وموضع التكريم والتقديس فى قلوبهم، واحتراماً لمكانتها، وتنزيها لها عن أن يستقبلها الإنسان في حالة التخلي، أرشد النبي – صلى الله عليه وسلم – أمته آمرا إياهم أن لا يستقبلوها، ولا يستدبروها حال قضاء حاجتهم، وعليهم أن ينحرفوا عنها قِبَلَ المشرق أو المغرب .

أما عن بلاغة هذا الحديث ففيما يتعلق بعلم المعاني فقد تناول العيني ما فى الحديث من تقييد الفعل بالشرط فى قوله – صلى الله عليه وسلم – : (إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ) موضحا الفرق بين الشرط ب (إن، وإذا) فيقول : (فيه تقييد الفعل بالشرط وقد علم الفرق بين تقييده ب (إن) وبين تقييده(بإذا) بأن أصل (إن) عدم الجزم بوقوع الشرط وأصل (إذا) الجزم بوقوعه، وغلب لفظ الماضي(بإذا) على المستقبل لأن لفظ الماضي أنسب إلى مدلول(إذا) من لفظ المستقبل لكون الماضي أقرب

---

١ عمدة القاري ٢/ ٢٧٦

إلى القطع بالوقوع من المستقبل نظرا إلى اللفظ لا إلى المعنى فإنه يدل على الاستقبال لوقوعه في سياق الشرط) ([1])

والعيني لم يزد عما هو مقرر ومعلوم لدى البلاغيين وهو أن من أحوال المسند الفعلي تقييده بالشرط، مثل أكرمك إن تكرمني و إن تكرمني أكرمك وذلك لاعتبارات شتى، وحالات تقتضي تقييده به لا تعرف إلا بمعرفة ما بين أدواته من التفصيل، وقد بين ذلك في علم النحو)([2])
غير أن البلاغيين اتبعوا ذلك بالحديث عن الفرق بين الشرط (بإن) والشرط (بإذا) لأن النحاة أهملوا بيان الفرق بينهما فهما مشتركتان في الدلالة على أصل التعليق والاستقبال دون زيادة لكن الغالب في الشرط(بإن) أن يدل على عدم اليقين بوقوع الشرط كقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ }([3]) وأما (إذا) فاصلها الدلالة على اليقين بوقوع شرطها نحو :(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) ([4])وهذا ما فعله العيني فقد ذكر الفرق وكأنه يشير إلى بلاغة تقييد الفعل (بإذا)
كما ألمح العيني إلى ماتضمنه الحديث من التفات فى قوله – صلى الله عليه وسلم – : (شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا) حيث قال : (وفيه أسلوب الالتفات من

---

١ عمدة القاري ٢/ ٢٧٧
٢ الإيضاح ٨٨
٣ الحجرات: ٦
٤ النصر : ١

الغيبة إلى الخطاب وإذا وقع الكلام على أساليب مختلفة يزداد رونقا وبهجة وحسنا سيما هو من كلام أفصح الناس)([1])

وفاته أن يذكر بلاغة الالتفات، ولعل بلاغته تكمن فى توجيه الخطاب إلى الجالسين والسامعين، تووددا إليهم، و إظهار عنايته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بهم ورعايته لهم ، وإقباله عليهم إكرامًا لهم فى إشارة منه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى مزيد من العناية بالأمر، و الاهتمام به ؛ فهم مخاطبون ومطالبون بتنفيذ وتبليغ ما سمعوه.

وبهذا نكون قد وصلنا إلى ختام عرضنا وتحليلنا لإسهامات الإمام البدر العيني فى الجزء الثاني من كتابه(عمدة القاري شرح صحيح البخاري) سائلين الله – تعالى – أن يتغمده بواسع رحمته و أن يجعل عمله فى ميزان حسناته، وأن يوفقنا إلى حُسن القصد، وصحة الفهم، وصواب القول، وسداد العمل إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلّ اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

١ عمدة القاري ٢/ ٢٧٧

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

و بعد :

فهذه دراسة متواضعة، و رحلة ممتعة في رحاب الجزء الثاني من كتاب (عمدة القاري شرح صحيح البخاري للبدر العيني) قد كُلِّلَتْ بإذن الله و فضله ببعض ما كنا نصبوا إليه من عرض للإسهامات البلاغية للبدر العيني، من خلال تناولنا بالشرح والتحليل، والنقد والتعليل لستة عشر حديثا ، حفلت بالكثير من المسائل البلاغية التي عرض لها الإمام البدر العيني، و تطرق إليها، وبينا من خلالها آراءه البلاغية، و مدى توافقها مع ما استقر عند علماء البلاغة من مصطلحات وقواعد، ذلك أن العيني عالم جليل له مكانة من الفضل، وسعة من العلم يقصر عنه من كان مثله، وقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن الإمام العيني اهتم فى كتابه (عمدة القاري) بكثير من النواحي البلاغية مما ينبئ عن سعة اطلاع على الدرس البلاغي، ومعرفة بمصطلحاته ،

أن الإمام كثير النقل والإفادة ممن سبقه كالزمخشرى و السكاكى والخطابي، والكرماني، وابن بطّال، والنووي، وغيرهم ،،

أن الإمام يطيل النفس فى بعض المسائل كحديثه عن التشبيه والاستعارة وقرينتها، والمجاز العقلي والالتفات و المشاكلة ويستعجل فى أخرى ، بينما يغفل عن كثير من اللطائف والنكات البلاغية، ولعل ذلك راجع إلى

أنه لم يكن من علماء البلاغة البارزين من أمثال الإمام عبد القاهر و السكاكى والخطيب القزوينى، كما أنه كان مشغولا بالمعاني والأسانيد والإعراب وغير ذلك مما أخذ حيزا كبيرا من اهتمامه،

أن الإمام لم يزد فى كثير من الأحيان عما هو مقرر وثابت لدى البلاغيين،فلم يكن له رأى مخالف لأرائهم،

أن الإمام يفتقد الإشارة إلى المصطلحات البلاغية لكثير من الألوان البلاغية كالاحتراس والطرد والعكس وبراعة الاستهلال والمجاز العقلي والتتميم والاكتفاء،،

كما يلاحظ أن الإمام قد التبست عليه كثير من المسائل البلاغية فجاء تعاطيه لها مفتقدا الدقة فى التحليل كالخلط بين التشبيه البليغ والاستعارة المكنية، والالتفات ووضع المظهر موضع المضمر.

وأخيرا فالإمام العيني صاحب ذوق بلاغي وجهد مشكور أثرى بكتابه الدراسات العربية والبلاغية بما قدم من تحليل أدبي للنص النبوي يكشف عن معانيه ومراميه ، فكان كتابه موسوعة لغوية، وتطبيقا عمليا للدرس البلاغي،

رحم الله الشيخ رحمة واسعة ونفعنا بعلمه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

القرآن الكريم .

١-الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، سعيد المندوب، دار الفكر – لبنان الطبعة الأولى،١٩٩٦م .

٢-إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ٣- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني محمود شاكر دار المدني جدة .

٤-الإيضاح في علوم البلاغة- دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م .

٥- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب الطبعة السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .

٦- بلاغة الحديث النبوي عند ابن علان. رسالة دكتوراه للدكتور رفعت السوداني طبعة ١٩٨٦م .

٧- البلاغة العربية أسسها و علومها وفنونها عبد الرحمن الميداني دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت الطبعة الأولى.

٨- البيان النبوي محمد رجب البيومي، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .

٩- التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م .

١٠- التعريفات علي بن محمد بن علي الجرجاني دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥ إبراهيم الابياري .

١١- تفسير الفخر الرازي دار الفكر الطبعة الأولى ١٩٨١م .

١٢- التقديم والتأخير في صحيح البخاري دراسة بلاغية رملة رشيد إسماعيل الناصري جامعة تكريت ٢٠٠٣م.

١٣– تيسر العلام شرح عمدة الأحكام عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام دار الميمان السعودية الطبعة الأولى .
١٤– التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى مكتبة الإمام الشافعي الرياض ١٩٨٨م الطبعة الثالثة .
١٥– الجهود البلاغية فى الجزء الأول من عمدة القاري د عبد الرزاق ريان الشريف بحث مستل من مجلة كلية اللغة العربية إيتاي البارود العدد الرابع والعشرون المجلد الثاني ٢٠١١م .
١٦– الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، للدكتور عز الدين علي السيد –دار الطباعة المحمدية القاهرة.
١٧– خزانة الأدب ابن حجة الحموي دار و مكتبة الهلال بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٧م تحقيق : عصام شعيتو .
١٨– خصائص التراكيب د محمد أبو موسى مكتبة وهبة الطبعة الثانية .
١٩– دراسات منهجية فى علم البديع د الشحات أبو ستيت الطبعة الأولى ١٩٩٤م .
٢٠ – شرح الطيبى على مشكاة المصابيح شرف الدين حسين الطيبى عبد الحميد هنداوى مكتبة نزار مكة المكرمة الرياض الطبعة الأولى ١٩٩٧م .
٢١– الصحاح الجوهري دار العلم للملايين– بيروت الطبعة الرابعة ١٩٩٠م .
٢٢– صحيح البخاري بشرح الكرماني إحياء التراث العربي يروت الطبعة الأولى ١٩٣٧م .
٢٣– الضوء اللامع لأهل القرن التاسع شمس الدين السخاوى دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.
٢٤– العقد البديع فى فن البديع الجواد الخورى بولس عواد المطبعة العمومية بيروت ١٨٨١م.

٢٥- عمدة القاري البدر العيني دار الفكر ١٩٧٩م
٢٦- فتح المنعم شرح صحيح مسلم د موسى شاهين لاشين دار الشروق الطبعة الأولى ٢٠٠٢م .
٢٧- فن البديع عبد القادر حسين دار الشروق طبعة أولى .
٢٨- فيض الباري على صحيح البخاري محمد أنور الكشميري دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى .
٢٩- القاموس المحيط الفيروزابادى مؤسسة الرسالة بيروت .
٣٠- الكشاف عن حقائق التنزيل جار الله الزمخشرى عادل عبد الموجود، وعلى محمد عوض الطبعة الأولى ١٩٩٨م .
٣١- لسان العرب ا بن منظور دار صادر بيروت الطبعة الأولى .
٣٢- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ابن الأثير المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥م محمد محيي الدين عبد الحميد.
٣٣- مشارق الأنوار على صحاح الآثار أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكيدار المكتبة العتيقة ودار التراث.
٣٤- المصباح المنير الفيومي يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية.
٣٥- مفتاح العلوم السكاكى نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

الفهرس

المقدمة :	٦٠٣
التمهيد :	٦٠٦
الحديث الأول : إنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا	٦٠٨
الحديث الثاني : أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ	٦١٢
الحديث الثالث : يَسِرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا	٦١٦
الحديث الرابع : مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ	٦٢٠
الحديث الخامس : لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ	٦٢٣
الحديث السادس : مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ	٦٢٧
الحديث السابع : بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ	٦٣٢
الحديث الثامن : يُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ	٦٣٦
الحديث التاسع : مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي	٦٣٨
الحديث العاشر : أَنَّ النَّبِيَّ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ اللُّقَطَةِ	٦٤٥
الحديث الحادي عشر : إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ،وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ	٦٤٩
الحديث الثاني عشر : اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ	٦٥٦
الحديث الثالث عشر : إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ	٦٥٨
الحديث الرابع عشر : إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ	٦٦١
الحديث الخامس عشر : إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ	٦٦٥
الحديث السادس عشر : إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ	٦٧٠
الخاتمة :	٦٧٣
المراجع :	٦٧٥
الفهرس :	٦٧٨